# الباب الأول

# الدراسات الشعبية

# في

# الدول المتحضرة

الفصل الأول

# مراكز ومعاهد الفولكلور فى فرنسا وأنجلترا وأيرلندا ورومانيا

اختلفت الظروف التى تطلبت العناية بالتراث الشعبى فى أوربا فى كل بلد عن الآخر؛ ففى ألمانيا اهتم المثقفون فى القرن الثامن عشر - وفى مقدمتهم الأخوان «جرم» اللذان اهتما بجمع التراث الشعبى الألمانى الأصيل بعد أن خشيا من أن تؤدى موجة الإمبريالية إلى تغيير معالم الشعب الألمانى وخصائصه. ومن ثم فقد بدأ الأخوان جرم بجمع مادة تراث الشعب الألمانى، الذى ينتمى إلى عصر ما قبل انتشار المسيحية. ذلك أنهما كانا يعدان الدين المسيحى حلقة من حلقات تراثهم الحضارى؛ فالتراث الذى عاش قبل المسيحية جرمانى أصيل، وهنا كانت نقطة الانطلاق التى دفعت المثقفين فى ألمانيا إلى العناية بالتراث الشعبى، وإلى تحديده وتعريفه.

وفى فنلندا بدأ الوعى بالتراث الشعبى فى ظروف تاريخية خاصة. فقد خضعت فنلندا للحكم السويدى حقبة زمنية طويلة. وقد شاعت السويد أن تقضى على معالم الشعب الفنلندى بأن شرعت فى إحراق كل تراثه. على أن التراث الشعبى الفنلندى لم يكن يعيش على صفحات الورق وبين ثنايا الكتب فحسب، بل كان يعيش بصفة أساسية فى صدور أبناء الشعب الفنلندى. وفى عام ١٨٠٩ تخلصت فنلندا من الاحتلال السويدى لتعانى فترة احتلال آخر من قبل روسيا. وإن تكن قد احتفظت باستقلالها الداخلى وعندئذ بدأ الشعب الفنلندى يعمل على استرداد شخصيته عن طريق إحياء لغته وإحياء تراثه. وفى عام ١٨٣٥ قدم «الياس لونروط» للشعب الفنلندى ملحمته الخالدة «كاليفالا». وتحكى المراجع عن الظروف التى هيأها لونروط لنفسه حتى يتمثل الروح الجماعى فى تأليف هذه الملحمة؛ فقد ظل يطوف بأنحاء فنلندا ويعيش مع أفراد الشعب الذين يحفظون تراثهم البطولى حفظاً متقناً، حتى استطاع أن يجمع الشعر البطولى الفنلندى والشعر الغنائى وأغانى المهد وأغانى الأفراح، وأن يؤلف بين كل ذلك فى شكل فنى محدد. وكانت ثمرة عمله بل ثمرة الجمع بين أشتات الشعر الشعبى الفنلندى هى ملحمة كاليفالا التى ماتزال تتناولها الأبحاث فى وفرة حتى الآن. وكأن الشعب الفنلندى وجد ضالته النفسية بظهور ملحمة كاليفالا، وأدرك حينئذ أن لغته ليست فقيرة كما أوهمه الاستعمار السويدى، بل هى لغة غنية بالتعبير. كما أدرك الشعب الفنلندى أن له كيانا وشخصية مميزة. ومنذ ذلك الحين بدأ الفنلنديون فى جمع التراث وتنظيمه ودراسته باهتمام بالغ وبعمق بعيد المدى، إلى درجة أن أصبحت فنلندا اليوم - باعتراف الباحثين - المكان الذى يجب أن يحج إليه كل مهتم بدراسة التراث الشعبى.

وفى فرنسا ارتبطت الدراسات الأثنولوجية – التى يجعلها الباحثون الفرنسيون فى مقدمة الدراسات الشعبية – بالاستعمار الفرنسى، فاستعمار الفرنسيين لبعض دول أفريقيا بصفة خاصة، دفعهم إلى دراسة أحوال الشعوب الأفريقية. ولهذا فإن دراسة فولكلور إفريقيا البيضاء وإفريقيا السوداء على حد تعبيرهم يشغل حيزا كبيرا فى دراستهم حتى اليوم. ثم أدرك الباحثون فى فرنسا أن اهتمام فرنسا بالفولكلور الأجنبى يفوق اهتمامها بالفولكلور الفرنسى نفسه. ولهذا فقد زاد الاهتمام منذ سنوات بإنشاء مركز خاص بجمع الفولكلور الفرنسى وحده وتنظيمه.

وليست هذه سوى أمثلة تطلعنا على الظروف المختلفة التى نشطت فى ظلها الدراسات الشعبية فى أوربا. ومن ثم فإن شكل نظام الدراسات الشعبية يختلف من بلد إلى آخر فى كثير أو قليل. ومع ذلك، فإن الدراسات الشعبية فى أوربا تتفق بعامة فى تحديدها لمفهوم التراث الشعبى، وفى الخطوط الأساسية لأساليب دراسته، وفى الأهداف التى تسعى إليها هذه الدراسة، بل إنها تتفق فى مناهج البحث.

وقد ساعد على ذلك عاملان: أولهما، المؤتمرات التى تنعقد تباعا فى كل دول أوربا الشرقية والغربية حيث يجتمع الباحثون الفولكلوريون من شتى أنحاء أوربا وآسيا لتبادل وجهات النظر. وثانيهما، إتاحة الفرص للباحثين من جميع البلاد للتعبير عن وجهات نظرهم فى مجالات التراث الشعبى التى تصدر فى وفرة بالغة فى كل أنحاء أوربا.

وتكاد تتشابه الظروف التى دفعتنا إلى الاهتمام بتراثنا الشعبى العربى مع الظروف التى عاشتها بعض البلاد التى أشرنا إليها، وتلك التى سنشير إليها فيما بعد. ومن ثم فقد رأى المختصون ضرورة إنشاء مراكز للفنون الشعبية تتلخص مهمتها الأساسية فى جميع التراث الشعبى بأشكاله كافة جمعا علميا وفق تخطيط دقيق، وفى تنظيم التراث وتصنيفه بحيث تصبح مادته فى متناول أيدى الباحثين، لا فى البلاد العربية وحدها بل فى جميع أنحاء العالم. وإذا كان مقدرا لمراكز الفنون الشعبية أن تؤدى رسالتها خير أداء فعليها دائماً أن تقوم بمهمتها على أساسين:

أساس محلى يتحدد بطبيعة المادة الشعبية الخاصة بنا وبظروفنا التاريخية والاجتماعية، وأساس عالمى يحتم علينا أن نكون دائماً على اتصال بمراكز ومعاهد الدراسات الشعبية فى الخارج، وأن نسعى إلى تطوير عملنا والنمو به حتى ندخل فى مضمار التنافس معها.

حقا إننى لا أبالغ إذا قلت إنه مضمار تنافس وسباق؛ فلقد كنت من قبل أتصور تطور هذه الدراسات فى البلاد الأوربية على نحو ما، ولكن تبين لى، بعدما رأيت سمعت وقرأت – أن هذا التصور كان قاصرا. ولنبدأ الآن بوصف موجز لمراكز الفولكلور التى زرتها فى كل من فرنسا وانجلترا وايرلنده الجنوبية ورومانيا.

ففى فرنسا تتركز الدراسات الأثنولوجية – التى يفوق اهتمام الفرنسيين بها اهتمام أى دولة أوربية أخرى – تتركز فى متحف الإنسان Musée de L homme الذى يقع بين ميدان «تروكاديرو» من ناحية، ونهر السين وبرج إيفل من ناحية أخرى. ويحتل المتحف الأثنولوجى الضخم الذى تعرض به نماذج إثنولوجية لكل دول العالم، جناحا من المبنى. أما الجناح الآخر فيحتوى على كل ما يخص الدراسة والدارسين، فهو يحتوى على مكتبة غنية بكتبها وأبحاثها ودورياتها التى تصدر فى جميع أنحاء العالم، كما توجد فى الطابق السفلى منه أقسام جمع المادة وتنظيمها وتصنيفها. فقسم يختص بالدراسات الإثنولوجية فى أفريقيا البيضاء وقسم يختص بإفريقيا السوداء وقسم يختص بأوربا. والموظفون الذين يتولون الإشراف على هذه الأقسام قد تخصصوا فى الدراسات الإثنولوجية. وهم فضلا عن قيامهم بعملية الإشراف، مكلفون بالقيام ببعض الأبحاث كل فى مجال تخصصه.

وبطبيعة الحال يغلب الاتجاه الإثنولوجى على معظم هذه الأبحاث. هذا وتوجد بهذا الجناح قاعة كبيرة لعرض الأفلام الفولكلورية والاثنولوجية لجميع شعوب العالم.

ويمكننا أن نقول إن المتحف بهذه الصورة أشبه ما يكون بمعهد مكتمل يتولى الإشراف على الدراسات الإثنولوجية فى شتى جوانبها.

ومنذ سنوات أنشئ مركز للدراسات الإثنولوجية والفولكلورية مختصا بفرنسا وحدها. وأطلق على هذه المبنى (متحف الفن والتراث الشعبى الفرنسى).

ويعد المتحف وفقاً لخطته المدروسة ثمرة دراسات واسعة وثمرة جهود المختصين فى هذا الميدان. فقد روعى فى تنظيمه أن تعرض الحضارة الفرنسية من خلال تراثها الاثنولوجى والفولكلورى. ولما كانت حضارة أي شعب من الشعوب حصيلة نشاطه المادى والروحى فى المكان الذى يعيش فيه، فقد روعى أن ينقسم المتحف إلى الأقسام الآتية:

**القسم الأول**: المجتمع الفرنسى فى التاريخ. وقد حدد هذا التاريخ ابتداء من القرن الثامن عشر إلى القرن العشرين – هذا إلى جانب تقديم نماذج للغة فى تلك الأزمنة.

**القسم الثانى**: التكنولوجيا؛ وفيه تعرض نماذج للآلات التى تستخدم فى صنع الخمر والخبز وفى الحصاد وصيد السمك وصيد الحيوان وتربية النحل وتربية الخيول والرعى والنسيج والتجارة والحدادة ووسائل النقل وبناء المنازل. على أن نماذج الآلات التى تعرض فى هذا القسم لا تقصد فى حد ذاتها فحسب، بل تعرض فى إطار الصور العملية للحياة التى عاشها الفرنسيون ومازالوا يعيشونها فى أثناء ممارستهم لهذه الأعمال.

**القسم الثالث**: العادات والتقاليد: ويشتمل الاحتفالات الخاصة بالتقاويم ثم الاحتفالات الدينية الخاصة بالقديسين والزواج كما يحتوى على الميثولوجيا الشعبية.

**القسم الرابع**: ويحتوى على الممارسات الشعبية والطب الشعبى والسحر.

**القسم الخامس**: ويختص بالمجتمعات الشعبية وهى المجتمع القروى والمجتمع العمالى وسكان الجبل.

**القسم السادس**: ويحتوى على أشكال الإبداع الشعبى وهى الألعاب الشعبية، والسيرك، والمسرح الشعبى، والرقص الشعبى، والأدب الشعبى فى عصر التصنيع، والموسيقى الشعبية، والفن الشعبى.

وقد روعى فى تنظيم المتحف على هذا النحو. التزاما بدقة العمل، أن يشرف على كل فرع من فروع هذه الدراسة باحث متخصص يتولى عملية الجمع والتنظيم والدراسة. فالألعاب الشعبية على سبيل المثال يشرف عليها متخصص، والمسرح الشعبى متخصص آخر، والرقص الشعبى متخصص ثالث وهكذا.

أما طريقة العرض فى هذه الأقسام، فتكون عن طريق عرض النماذج الإثنولوجية مرفقة بالنصوص الأدبية التى يضمها الأرشيف بعد تنظيمها وتصنيفها. وبهذا يتمكن الدارس من الربط التام بين المادة والنص، أو بعبارة أخرى يتمكن من تمثل الحياة الشعبية بجانبيها المادى والروحى..

ولا تقتصر الدراسات الفولوكلورية على عاصمة فرنسا، بل هناك نشاط شعبى ملموس فى الأقاليم. وقد راعنى وعى الشعب الفرنسى بتراثه فى بعض الأقاليم. ففى مدينة «ليموج» التقيت مع السيد «لويس بونارد» الموظف ببلدية المدينة، وعلى الرغم من أن وظيفة «بونارد» لا تتصل اتصالاً مباشراً بالدراسات الشعبية، فإن الدراسات الشعبية تعد هوايته. وقد ألف كثيراً من الكتيبات حول الفولكلور الفرنسى(١). كما أنه اتصل بكثير من المدرسين بصفة خاصة الذين يعملون فى القرى وكون منهم جماعة للفولكلور تبدى نشاطاً بالغاً فى المحافظة على التراث. وقد قدم إلى بالفعل زوجين يعملان بالتدريس ويتقنان الرقص الشعبى وقد كونا من بين أفراد الشعب فرقة شعبية تحيى الرقص الشعبى دون تحوير فيه.

وكذلك أتيحت لى فرصة مشاهدة بعض الاحتفالات الشعبية مع المختصين. وقد كانت مناسبة شعبية يحتفل بها مرة كل سبع سنوات. ومن حسن حظى أن وجودى فى فرنسا اتفق مع هذا التوقيت. ففى بلدة «سنت ماريادى لامير» يفد الغجر من كل أنحاء أوربا ليحيوا طقوس مناسبة دينية عاشت فى أساطيرهم الدينية ومانزال تعيش فى نفوسهم حتى اليوم. ففى هذا المكان الذى يقع على شاطئ البحر المتوسط استقرت القديسة ماريا - كما تقول الأسطورة - فى أثناء رحلتها من فلسطين إلى بعض الأماكن المقدسة. وتوفيت القديسة فى هذا المكان حيث شيدت كنيسة تضم رفاتها. وسبب احتفال الغجر وحدهم بهذه المناسبة هو أن القديسة ماريا كانت تعمل خادمة لدى بعض نبلاء فلسطين. ويهمنى أن أشير فى هذا المجال إلى الطريقة التى تسهم بها الجهات الرسمية مع الشعب فى هذه الاحتفالات الشعبية. فقد اتخذ إحياء تلك الطقوس شكلاً رسمياً وشعبياً منسقاً لايعرف الفوضى، فى الوقت الذى

---

(١) Louis Bonnard:

1 - Traditions Populaires-Limoges 1960.

2 - Folklore Limosine televise (Folklore N. 82. 1965).

3 - Folklore en Espagne (Folklore N. 87. 1964).

روعيت فيه حرية الشعب فى إحياء طقوسه. وقد كان على المختصين الفولكلوريين فى هذه المناسبة رصد مظاهر الاحتفال كما يحدث فى الواقع، بقصد دراسة مدى ما يعترى الاحتفال من تغيير كل سبع سنوات.

## انجلترا:

والعمل يسير فى انجلترا فى هذا المجال على نحو آخر. وتكاد تكون فرنسا البلد الأوربى الوحيد الذى يحاول أن يربط بين علم الاثنولوجيا وعلم الفولكلور ربطا تاما على النحو الذى أشرنا إليه. أما سائر دول أوربا فتفصل بين المادة الفولكلورية التى مكانها المركز أو المعهد، والمادة الاثنولوجية ومكانها المتحف. ومع ذلك فإن الدراسات الإثنولوجية والفولكلورية فى كل بلاد أوربا تتجه - كما سبق أن ذكرنا - إلى هدف واحد وهو المحافظة على التراث الشعبى والعمل على إحيائه قدر الإمكان ثم الاعتماد عليه بوصفه كلا فى دراسة أحوال الشعوب من الناحيتين الاجتماعية والنفسية عبر التاريخ.

وتتوزع الدراسات الشعبية فى إنجلترا فى مدرسة الدراسات الاسكتلندية التابعة لجامعة أدنبرة وفى مدرسة الدراسات الانجليزية التابعة لجامعة ليدز ثم فى متحف كارديف فى ويلز، وفى المتحف الوطنى فى إيرلندة الشمالية.

ففى أدنبرة أنشئ معهد نموذجى فى عام ١٩٥١. وعلى الرغم من أن الأعضاء الذين يعملون بهذا المركز لايتجاوزون الاثنى عشر فإن العمل يدور فى هذا المركز فى هدوء وعمق ونشاط بالغ. ويرجع ذلك إلى التخطيط العلمى الذي يتبعه المركز منذ نشأته: فقد وزعت الاختصاصات فيه توزيعاً محدداً بحيث لا يتداخل بعضها فى بعض فيعطل هذا من سير الأمور فيه. فالموسيقى الشعبية يشرف عليها ثلاثة من المختصين الذين تخصصوا فى دراسة الموسيقى بوجه عام وفى الموسيقى الشعبية بوجه خاص. وكل منهم مسؤول عن جمع التراث الموسيقى وتصنيفه فى منطقة معينة. كما يشرف على أسماء الأمكنة باحثان. وبالمثل يشرف على جمع الأغنية الاسكتلندية والأغنية الغالية والحكايات الشعبية والتقاليد والعادات والمادة الحضارية والتنظيمات الاجتماعية متخصص ومساعد له.

ويستقل كل باحث مع أجهزته بمكان فى المعهد يقوم فيه بأبحاثه وينظم أرشيفه. وقد جهز المعهد بمكتبة كبيرة ويمعمل معد بأحدث الآلات ثم بأرشيف جامع للمواد كلها يشرف عليه متخصص فى عمل الأرشيف. أما الشرائط المسجلة فيحتفظ بها بعد تفريغها كتابة فى مكان خاص بها.

هذا وقد قرر المعهد ألا تبدأ به الدراسة المنتظمة فيه إلا بعد استكمال المادة جمعاً وتصنيفا. ومع ذلك فهو يقدم الحاضرات القيمة بين الحين والآخر، كما يقوم بنشر الأبحاث وإصدار مجلة «دراسات اسكتلندية» فى شهرى أبريل وأكتوبر من كل عام.

أما فى جامعة ليدز. فقد اتسع نطاق الدراسات الشعبية بها بحيث أصبحت تتجه اتجاها علميا أكثر منه فى جامعة أدنبرة. ففى مدرسة الدراسات الانجليزية التى تعد قسما من كلية الآداب، يدرس الفولكلور بشكل واسع وعميق. وتستغرق الدراسة فى هذا القسم ثلاث سنوات. وفى وسع الطالب أن يختار فى السنتين الثانية والثالثة دراسة الفولكلور إلى جانب دراسة المواد الأخرى. وفى السنة الثانية تدرس المواد الفلوكلورية الآتية:

التراث الشفوى. التراث المادى. التقاليد والمعتقدات الشعبية. الآلات التكنولوجية التى تستخدم فى العمل الميدانى. الحكايات الشعبية. نظرياتها. طريقة روايتها وجمعها وتصنيفها. الأغنية الشعبية والبالاد. والأمثلة الشعبية والألغاز.

أما فى السنة الثالثة فالدراسة تشتمل على المواد الآتية:

التقاليد والعادات، التقويم والعادات المرتبطة به. البالاد. الآلات الموسيقية الشعبية. الفولكلور وعلم الاثنولوجيا.

وإذا اختار الطالب الدراسة الشعبية ضمن مواد دراسته، فعليه أن يقوم بعمل ميدانى يمتحن فيه. وتمتد الدراسة الفولكلورية بعد ذلك بحيث يتمكن الطالب من الحصول على الدبلوم الذى يستغرق عاما واحدا يؤهله لدراسة الماجستير ثم الدكتوراه. وفى السنة المخصصة للحصول على الدبلوم يدرس الطالب المواد الآتية: العمل الميدانى والآلات التى تستخدم فيه. تسجيل التراث الشعبى. حفظ التراث الشعبى. تصنيف التراث الشعبى. الأرشيف. نشر التراث الشعبى. المتاحف وطريقة عرض المادة بها.

على أن مدرسة الدراسات الإنجليزية «بجامعة ليدز» لا تقتصر على تدريس المواد الفولكلورية على هذا النحو الشامل العميق فحسب، بل تضم الدراسة أرشيفاً للمواد الفولكلورية التى جمعها الباحثون ترتب فيه المادة وفقا لنظام أوبسالا فى السويد. وفضلا عن ذلك فإنها تشرف على عمل الأطلس اللغوى الذى يهدف، عن طريق التوزيع الجغرافى للغة الحديث اليومية، إلى الكشف عن أهم خصائص لغة الحديث فى ضوء الاختبار الصوتى والمورفولوجى والتركيبى. ويسير العمل فى هذا المجال فى عدة مراحل. أولا: تأليف الأسئلة التى تكشف عن الملامح المعجمية والصوتية والمورفولوجية والتركيبية للهجات الأساسية فى اللغة الإنجليزية. ثانيا: اختبار هذه الأسئلة وطبعها بعد الاطمئنان إلى نجاح مهمتها. ثالثا: البحث عن الكفاءات الشعبية فى الأقاليم التى تعد منبعاً لاستقاء المادة. رابعا: تدريب الجامعيين على استخدام الأسئلة. خامسا: نشر نتائج العمل كله فى شكل خرائط أو أبحاث مكملة.

أما فى ويلز وايرلندة الشمالية، فتتركز الدراسات الشعبية فى متحف كارديف فى ويلز وفى المتحف الوطنى فى ايرلندة. ولا تعرض المادة الاثنولوجية إلى جانب المادة الفولكلورية كما هو الحال فى متحف باريس، بل ينقسم كل متحف من هذين المتحفين إلى قسمين: قسم لعرض المادة الأثنولوجية وقسم آخر منفصل عنه يضم المادة الفولكلورية.

وأما فى جامعة لندن فليس هناك قسم للدراسات الشعبية، بل يوجد بالمدينة أرشيف كبير للموسيقى والأغانى الشعبية وتشرف عليه جماعة الفولكلور البريطانية. وإذا كانت جماعة الفولكلور البريطانية لا تؤدى دورها فى نشاط بالغ كما هو الحال فى المانيا وفنلندا، فهى على كل حال مواظبة على اجتماعاتها الدورية التى تلقى فيها المحاضرات المهمة، كما أنها تفتح أبوابها لكل متخصص وهاو يبدى نشاطاً فى هذا المجال بشكل أو بآخر.

## ايرلنده الجنوبية:

تتميز ايرلنده الجنوبية بثراء تراثها الشعبى الذى مازال يعيش حتى اليوم حيا، بل ومازال بعضه يعيش بلغته الأصلية الغالية. وعلى الرغم من أن ايرلندة لم تبدأ فى جمع التراث

الشعبى فى زمن مبكر كما حدث فى ألمانيا وفنلندا – إذ أنها لم تفعل ذلك إلا بعد أن كافحت الاستعمار البريطانى لفترة طويلة – فإنها مع ذلك قد بدأت بنشاط بالغ بحيث حققت كثيراً من أهداف هذه الدراسة.

فمركز الفولكلور فى مدينة (دبلن) يحتوى على أرشيف كبير منظم كما يحتوى على مكتبة كبيرة. وعلى هذا المركز يتردد الباحثون من جميع أنحاء أوربا الذين يرغبون فى دراسة الفولكلور الأيرلندى بقصد الدراسات المقارنة. وبما أن الصلة وثيقة بين الفولكلور فى المملكة المتحدة بخاصة فى اسكتلندا، وبين الفولكلور الايرلندى، فإن الاتصالات العلمية تجرى فى نشاط بين هذا المركز وبين مدرسة الدراسات الاسكتلندية بصفة خاصة سواء عن طريق إرسال الباحثين أو عن طريق تبادل الأبحاث العملية.

وعلى الرغم من النشاط البالغ الذى بذله مركز دبلن فى الجمع والتصنيف، فإنه مازال يواصل جهوده، فالعمل الميدانى لاينتهى، لأن مادة التراث الشعبى لابد أن تجمع بين الحين والآخر بقصد دراسة تطورها وتطور المجتمع الشعبى الذى تعيش فيه. وقد أرسلنى الأستاذ الدكتور «ديلارجى» الأستاذ المشرف على المركز وهو الذى قام بتأسيسه، أرسلنى إلى باحث ميدانى يتولى عملية الجمع فى غرب ايرلندة وفى الجزر الغربية. وقد حكى لى هذا الجامع الذى يبلغ الخمسين من عمره أنه يقوم بعملية الجمع فى هذه المناطق منذ عشرين عاما وأنه لا يزال أمامه كثير من العمل. وقد اشركنى معه فى جولات واسعة فى الساحل الغربى فرأيته فرداً من أفراد الشعب، فالكل يعرفه ويسعد برؤيته ويجلس للحديث معه فى شوق بالغ. فإذا خلا لنفسه أخذ يدون المادة التى جمعها على الأشرطة ويرسلها إلى «دبلن» حيث الأساتذة الذين يتولون دراستها وتصنيفها.

والحق أن أرشيف مركز الدراسات الشعبية فى مدينة «دبلن» غنى للغاية. ومما استرعى نظرى فى هذا الأرشيف تلك المادة التى جمعها التلاميذ فوق سن الاثنى عشر؛ فالمدرسون الذين ينتشرون فى جميع أنحاء ايرلندة يطلبون من التلاميذ جمع الحكايات الشعبية والألغاز والأمثال إلى غير ذلك. فينشط التلاميذ فى جمع تلك المادة من جداتهم وأجدادهم وغيرهم ويسلمونها إلى المدرس الذى يقرأها ويفحصها ويطلب منهم إعادة كتابتها منظمة مرتبة. ولم

يعمد المركز إلى هذه الطريقة لتسهيل عملية جمع مادة التراث الشعبى، فعملية الجمع يقوم بها المتخصصون قبل كل شئ، ولكن المركز يهدف إلى أن يعرف الأبناء بتراثهم الشعبى، كما أنه يهدف إلى أحياء عملية الرواية الشفوية. وربما احتوى أرشيف التلاميذ على مادة لم يهتد إليها الجامعون المتخصصون.

وليس هناك برنامج التدريس التراث الشعبى بهذا المركز ولكنه يعد مركزا علميا بحق. فعليه يتردد الباحثون من جميع أنحاء أوربا بقصد الدراسات المقارنة.

وقد قدم الباحثون بهذا المركز مجموعة من الأبحاث القيمة التى تقدم للباحث الايرلندى والاجنبى على السواء فكرة واضحة عن الفولكلور الإيرلندى. وليس فى وسعنا أن نذكر الكتب التى نشرها هذا المركز، فهى كثيرة ولاشك، ولكن يكفى أن نقول إن كل جانب من جوانب التراث الشعبى قد درس فى عدة كتب. هذا إلى جانب الكتب التى درست المجتمع الإيرلندى واللغة الإيرلندية. ويهمنى أن أشير إلى كتاب «دليل الفولكلور الإيرلندى.»(١) لكاتبه Sean O' Suilleabhain رئيس الأرشيف بمعهد «دبلن». ويقدم هذا الكتاب أسئلة العمل الميدانى مرتبة وفقا للمادة الفولكلورية والأثنولوجية المتنوعة. ولما كان هذا الموجز يتسم بالاستقصاء البالغ فى جمع المادة الفولكلورية والأثنولوجية عن طريق طرح الأسئلة، فقد عد دليلا احتذت به البلاد التى وضعت لها دليلا لفولكلورها على هذا النحو. وقد ظهرت أول طبعة من هذا الدليل عام ١٩٤٢ وماتزال تصدر له طبعات جديدة حتى اليوم.

وليس هذا العمل الوحيد للأستاذ سيان، فقد نشر أبحاثا قيمة فى كل مجال من مجالات الفولكلور الإيرلندى على وجه التقريب، وربما سهل له هذا الأمر عمله الدائم فى الأرشيف.

## رومانيا:

ولعل القارئ يدرك، بعد هذا العرض للدراسات الشعبية فى انجلترا وفرنسا وايرلنده، إلى أى حد تزدهر هذه الدراسات فى البلاد التى بلغت من التقدم العلمى شأواً بعيدا. ولعل هذا يدحض رأى الذين يدعون أن التراث الشعبى يموت بتأثير زحف المدنية المعاصرة وبتأثير

---

(١) Sean O' Suilleabhain: AHand book of Irish Folklore, London 1963.

التطور التكنولوجى. فمما لاشك فيه أن بلادا مثل فرنسا وانجلترا وفنلندا وألمانيا – تمثل أرقى درجات التطور التكنولوجى الذى شمل جميع نواحى الحياة. ذلك أن الدراسات الشعبية لاتعنى لدى الباحثين فى هذه البلاد مجرد رصد التراث الشعبى المتوارث فحسب، بل تعنى فضلا عن ذلك دراسة الشعب فى ظروفه الراهنة وفى الإطار الحضارى الذى يعيشه اليوم. وحيثما وجدت التجمعات الشعبية فى القرية أو المدينة.

فإذا انتقلنا إلى الحديث عن الدراسات الشعبية فى البلاد الاشتراكية، وسنقصر حديثنا هنا على رومانيا، لأنها البلد الذى قمت بزيارته ورأيت فيه حرص المختصين البالغ على النهوض بهذه الدراسة، فإننا نكون بذلك قد وضعنا نصب أعين القارئ المتخصص صورة جلية لاهتمام البلاد المتطورة أو تلك التى تسعى للوصول إلى أعلى درجات التطور، بالكشف عن جوانب اهتمامات الشعب الروحية وتطوره المادى من خلال أشكال تعبيره المتنوعة. وسواء كان البلد رأسماليا أم اشتراكيا، فإن اهتمامه بهذا الفرع من الدراسات الإنسانية يحكمه عاملان: العامل الأول هو عراقة الشعب، والعامل الثانى هو ربط حاضر هذا الشعب بماضيه بقصد الكشف عن جوانب تطوره الروحى والمادى، والكشف عن احتياجاته النفسية. وإذا كانت البلاد الرأسمالية تستعين بالدراسات الشعبية فى رسم صورة جلية للشعب فى إطار الحضارة التى يعيشها اليوم، وتلك التى كان يعيشها بالأمس القريب والبعيد، وذلك بقصد إبراز شخصية الشعب المتطورة عبر التاريخ، فإن البلاد الاشتراكية تهتم إلى جانب ذلك بابراز مدى انعكاس الإيدلوجية على الحياة الشعبية من خلال دراسة الأشكال المتطورة للتعبير الشعبى. ولا يتمثل واجب المهتمين بدراسة جوانب الحياة الشعبية فى مجرد رصد ظواهر هذه الحياة فحسب، بل إن واجبهم يتعدى ذلك إلى تشجيع النشاط الشعبى فى شتى جوانبه الإبداعية. وفى الوقت الذى يحرص فيه الباحثون الفولكلوريون على الربط الوثيق بين مجتمع القرية والمدينة، وذلك بتقديم أشكال التعبير الشعبى من فنون تشكيلية ورقص وموسيقى وغناء شعبى إلى مجتمع المدينة، فإنهم يحرصون فى الوقت نفسه على توصيل معارف المدينة إلى القرية عن طريق الندوات والدراسات المنظمة.

وتقوم بيوت الثقافة فى القرى متعاونة مع مراكز رعاية الإبداع الشعبى بدور بالغ الأهمية فى تشجيع النشاط الشعبى والعمل على استمراره ضمانا لبقاء الشعور الشعبى القومى لدى أفراد الشعب حيا. ولقد دعيت إلى زيارة قرية «ميدجيا» التابعة لمحافظة «دوبروجيا» فى رفقة جماعة من الباحثين من معهد الفولكلور والاثنوجرافيا فى بوخارست كانوا قد كلفوا بتسجيل الرقصات الشعبية التى تؤديها الجماعات التى تنتمى إلى أصل تتارى وتركى. ولا تقوم الرحلات الميدانية فى رومانية إلا بعد تنظيم وتنسيق كامل بين المختصين فى المعهد والمشرفين على بيوت الثقافة والابداع الشعبى فى المكان الذى يراد زيارته. وبهذا يضمن الباحثون سرعة العمل من ناحية، كما أنهم يستفيدون من خبرات هؤلاء الذين يعايشون السكان معايشة حقة من ناحية أخرى. ولقد راعنى كيف أن السيدة التى تشرف على النشاط الثقافى فى هذه القرية تعرف كل كبير وصغير فيها على وجه التقريب، وتنتقل بين أفرادها لا بوصفها موظفة تشرف عليهم، بل بوصفها فردا منهم. وفى بيت الثقافة تم التجمع الشعبى بطريقة طبيعية للغاية. فلما اشتدت حماسة الأفراد وقاموا يرقصون، كان الباحثون المكلفون بتسجيل الرقصات مختفين بين جمهور الشعب، بحيث إنهم قاموا بواجبهم دون أن يشعر بوجودهم أحد. ولا يعنى هذا أنهم لم يستقصوا الحقائق التى تعنيهم من أفراد الشعب؛فلقد قاموا بهذا العمل بعد أن فرغوا من تسجيل الرقصات. وفى اليوم نفسه حدث أن كانت القرية تحتفل بزفاف أحد أبنائها، وكان الجميع يشترك فى هذا الاحتفال بصورة أو بأخرى. ولم يكن بيت الثقافة بمنأى عن هذا الاحتفال، بل شارك فيه بأن فتح أبوابه للاحتفالات الجماعية ولإقامة الوليمة التى اشترك فيها المدعوون. فلما طفت ببيوت القرية بعد ذلك وجدتها جميعاً ذات نسق شعبى متكامل ومزدانة بالزخارف والأعمال اليدوية الشعبية الأصيلة. ولم يشذ عن ذلك بيت من البيوت سواء تلك التى يسكنها الرومانيون الذين ينتسبون إلى أصل تركى أو تتارى أو ألمانى أو تلك التى يسكنها الرومانيون الأصليون.

وتراث الشعب الرومانى غنى بمادته القديمة والحديثة. فمازال الشعب الرومانى يستقبل السنة الجديدة على نحو ما كان يفعل فى الأزمنة السالفة. وهو يغنى ويرقص ويؤدى التمثيليات على نحو ما كان يفعل أجداده. ومازال احتفالات الزواج وشعائر الدفن ترتبط بالتراث الرومانى القديم. ومازال تنتشر فى تراثهم الروائى الأغنيات المحلية القديمة التى تحكى عن

صراع البطل مع القوى المهولة وبطولة الخارجين على القانون الجائر، وصراع الأسر الغنية بعضها مع بعض وصراع الشعب الرومانى ضد الغزاة من الأتراك والتتار، كما تحكى عن استعباد الإقطاع للشعب، وصراع الشعب ضد هذه العبودية. وقد ساعد على بقاء هذه المادة الفولكلورية الغنية تلك الجهود التى بذلت فى خلال القرن التاسع عشر وفى أوائل القرن العشرين فى جمع تلك المادة ونشرها فى كتب.

وفى عام ١٩٣٠ أسس الأرشيف الفولكلورى فى مدينة «كلوج» وكان نشاط الباحثين فى تلك الفترة يتركز أساسا حول جمع مادة الموسيقى والرقص. ومضى الحال على هذا النحو مايقرب من عشرين عاما عندما أنشئ معهد الدراسات الفولكلورية فى عام ١٩٤٩ فى «بوخارست»، وهو يتبع أكاديمية العلوم والفنون. وقد استطاع هذا المعهد منذ ذلك التاريخ حتى اليوم أن يدعم مركزه بين معاهد ومراكز الفولكلور الأوربية الناهضة.

ولم يكن ذلك إلا بفضل التخطيط السليم لعمل المعهد، وبفضل إدارته السليمة التى تحرص دائما على الموازنة بين الانفاق والحصيلة العلمية لهذا الانفاق. ويقوم هذا المعهد بجمع ودراسة الموسيقى الشعبية والدراما الشعبية والعادات والطقوس. ثم توسعت الدراسة فى المعهد بعد ذلك فشملت دراسة حياة الناس المعاشة، بمعنى دراسة معتقداتهم الحية وسلوكهم واهتماماتهم العملية، وكذلك دراسة البيئة من ناحية بنيتها الاقتصادية والاجتماعية. وقد صنع المعهد فى خطته الفراغ من عملية الجمع والتصنيف، أى عملية استقصاء المادة الفولكلورية من الكتب والمجلات والصحف، فضلا عن جمعها الميدانى فى عام ١٩٨٥.

والمعهد إذ ينشغل بهذا العمل الجليل، يولى عنايته لما يجرى حوله فى العالم الأوربى من دراسات حديثة فى مناهج البحث وفى التصنيف. وهو يستفيد من كل ذلك ويسير بهذه الأبحاث قدماً. فالأستاذ الدكتور «ميهاى بوب» يضطلع بدراسة الحكايات الشعبية من وجهة نظر المنهج البنائى الذى يتبارى كثير من الباحثين الفولكلوريين اليوم فى أوربا وأمريكا فى تطبيقه، وله فى ذلك أبحاث قيمة، وكذلك استفاد الأستاذ «بربولسكو» الذى يعمل بهذا المعهد، من تصنيف آرن تومسون، ولكنه جمع بينه وبين تصنيف رومانى حديث يقوم على أساس تصنيف الحكاية من ناحية العناصر Element والفكرة Theme والحادثة Episode، وذلك

بهدف الكشف عن شكل الحكاية الشعبية الرومانية وتطور روايتها. أما فى مجال الموسيقى الشعبية والرقص الشعبى فإن المعهد الرومانى أصبح يضارع الجهات المعنية بهذا العمل فى أوروبا، بحيث أصبح الدارسون الأوربيون حريصين على زيارة هذا المعهد للاستزادة مما حققه الباحثون فيه من نجاح فى تدوين الألحان الموسيقية والرقصات الشعبية وتصنيفها ودراستها. ويعمل فى المعهد ثلاثون باحثاً اختيروا من بين أوائل خريجى كليات الدراسات اللغوية ومن الكنسرفاتوار ومعاهد الرقص، وكل هذه الجهات تدرس الفولكلور ضمن مناهجها، ويقوم هؤلاء الباحثون بعمل أبحاث ميدانية ودراسات تؤهلهم للدخول فى مسابقات يحصلون بعدها على درجات علمية. ويضم المعهد فضلا عن ذلك فنيين ورسامين ومصورين وأمناء مكتبة وأمناء أرشيف ومهندس صوت. وينقسم المعهد إلى قسمين أساسيين: قسم الفولكلور وينقسم إلى شعبة الأدب والرقص؛ ثم قسم الاثنوجرافيا الذى أنشئ عام ١٩٦٢، ويضم شعبتى الثقافة الروحية، والثقافة المادية.

ولقد قمت بزيارة متحف القرية المفتوح الذى يقع فى قلب بوخارست فى مكان شاسع هيئ لأن يتخذ شكل قرية جميلة متكاملة، وذلك بعد زيارتى لأمثال هذا المتحف فى كل من انجلترا وألمانيا وفنلندا. فرأيت أن المتحف الرومانى يفوقهما جميعا من حيث الاكتمال وتوزيع المادة فى ذلك المكان الخلاب. وقد بدئ فى عمل هذا المتحف فى عام ١٩٣٠ واكتمل شكله فى عام ١٩٤٨. وفى هذا المتحف تعرض نماذج من العمارة الشعبية أقيمت كما هى فى الطبيعة، ورتبت فيها وسائل المعيشة بحيث تبرز وظيفتها فى حياة الناس، وقد روعى فى أشكال البيوت المعروضة التوزيع الجغرافى من جهة، كما روعى أن تمثل هذه البيوت المراحل التاريخية والأنظمة الاجتماعية والاقتصادية المختلفة، وإلى جانب البيوت توجد نماذج من الكنائس والطواحين ومعاصر الزيوت إلى غير ذلك مما يرتبط بحياة الناس الروحية والمادية.

إن برنامج دراسة الشعب الرومانى على هذا النحو الشامل العميق إنما هو جزء لا يتجزأ من البرنامج الاشتراكى الذى تسعى الدول الاشتراكية إلى تحقيقه على أكمل وجه، وهذا أمر طبيعى، فما دامت هذه الدول تهتم بالشعب أولا والنهوض به فكريا وماديا، فإن الدراسات الشعبية تحتل مكان الصدارة بين اهتماماتها. ولكنها إذ تفعل ذلك لا تبغى من ورائه الدعاية،

بل تهدف أولا وقبل كل شئ إلى أن تسهم هذه الدراسات فى وضع لبنات المجتمع الجديد الذى يتصدره الشعب العامل. ذلك الشعب الذى كدح فى الماضى والذى يعيش الحاضر بآمال ومطامح جديدة.

وليس أدل على زهو الشعب الرومانى بهذا العمل الجليل الذى يقوم به، من حرص أولى الأمر على إمداد المختصين فى البلاد الأخرى الذين زاروا بلادهم بكل مايجد لديهم من أبحاث وانجازات فى مجال الدراسات الشعبية. فمازال المعهد يمدنى بمجلتى «دراسات فى جنوب شرق أوربا»(١)، و«الاثنوجرافيا والفولكلور»(٢)، اللتين تصدرهما الأكاديمية الرومانية، وعندما صدر تصنيف الحكايات الشعبية الرومانية فى مجلدين كبيرين عام ١٩٦٩(٣)، تولى المعهد إرسالهما إلى.

إن العمل فى الميدان الفولكلورى إذا كان رائده الجد والدأب والصدق، فلابد أن يؤتى ثماره اليانعة فى زمن وجيز. وهذا ما حققته رومانيا وما تعتز بتحقيقه وتحرص على إطلاع العالم أجمع عليه.

---

(١) Revue des Etudes Sud-Est Europséenes.

(٢) Revista de Etnografie si folklor.

(٣) Sabina Cornelia Stroescu: La Typologie Bibliographique de Facéties Roumaines (Bucharest 1969).

الفصل الثانى

# الدراسات الشعبية فى فنلندا

إذا كان هناك مكان ينبغي أن يتردد عليه الفولكلوريون بقصد الاستزادة من العلم المتجدد في مجال الدراسات الشعبية، فإن هذا المكان هو فنلندا. وقد نتساءل عن سبب هذا، خاصة وأن كثيرا من دول أوروبا وآسيا قد بلغت شأوا بعيداً في هذا الميدان. على أننا نعزو هذا لعدة أسباب هي:

**أولا**: بمجرد أن تطأ قدم الزائر أرض فنلندا يشعر أنه قد جاوز عالم أوربا. فعلى الرغم من أن فنلندا تعد إحدى الدول الاسكندنافية التي تمثل قمة الحضارة والرقي في أوربا، فإن بساطة الشعب الفنلندي وجماله، الذي يعد بطبيعة الحال انعكاسا لجمال الطبيعة في تلك البلاد، يحملان الزائر على الشعور بأنه قد جاوز عالم الصخب والكلفة، عالم الآلة والسرعة بل عالم المادة والمادة فحسب. إن الزائر يشعر على التو أن كل فرد من أفراد هذا الشعب الذي لايتجاوز عدده خمسة ملايين نسمة، طبيعي للغاية، وإنه ليخيل للإنسان أن جميع أفراد هذا المجتمع قد نبت من طينة واحدة، وأن جذورهم أصيلة تمتد إلى أعماق بعيدة. فكل فرد منهم ملتصق بها وإن نما بعيدا عنها في رشاقة أشبه برشاقة الأشجار التي تنمو في الغابات الشاسعة هناك دون اعوجاج لتصل إلى عنان السماء. وربما لم تتح لي فرصة في البلاد التي زرتها بأن أتصل بأفراد كثيرين ابتداء من عامة الشعب إلى الأساتذة الكبار، كما أتيحت لي في فنلندا، فوجدتهم جميعا يرجعون إلى معدن واحد يعتز به كل فرد. وليس عجيبا بعد ذلك أن يهتم هذا الشعب دون استثناء بتراثه وان يحبه ويرعاه، الأمر الذي كان له أبعد الأثر في المحافظة على التراث الفنلندي الشعبي وعلى الإقبال على الاستمتاع به ودراسته.

وليس أدل على تعلق الفنلندي بأرضه وطبيعة بلاده، من أن الأفراد لا ينزحون في الغالب لقضاء أجازتهم الصيفية، حيث يستمتعون بمظاهر الحضارة والرقي، بل ينزحون مختارين إلى أكواخهم الصيفية البسيطة التي قد شيد كل منها بعيداً في قلب غابة من الغابات وعلى حافة بحيرة طبيعية من تلك البحيرات التي لا حصر لها والتي تتميز بها الطبيعة في فنلندا. ومن المحتم أن يكون بجوار كل كوخ «حمام بخاري Sauna».

وفي هذا المكان المنعزل يعيش الفرد بين أشجار الغابات وكأنها أشقاء له ويجتني ما تنبته الغابة من نباتات طبيعية، وهو يستمتع مرة أو مرتين في كل أسبوع بالحمام البخاري، ويرمي

بنفسه إثر ذلك فى البحيرة الطبيعية. وفى المساء يقذف بشبكة فى البحيرة لينتزعها فى الصباح الباكر وقد أمتلأت بأجود الأسماك. وقد أتيح لى أن أعيش حياة الفنلنديين الطبيعية عن قرب؛ وإذا كنت قد أسهبت فى وصف هذه الحياة، فذلك بدافع رغبتى فى تصوير مدى حب الفنلندى لبلاده ومدى تعلقه بتراثه القديم.

**ثانيا**: إذا كانت الحماسة البالغة والتخطيط العلمى ثم العمل الجدى، عوامل تقف وراء كل عمل ناجح، فإن هذه العوامل نفسها هى السر فى تقدم الدراسات الشعبية فى فنلندا تقدما لانظير له فى دول أوربا. ويهمنا أن نعرف إذن سر هذه الحماسة البالغة، كما يهمنا أن نعرف شيئا عن التخطيط العلمى لهذه الدراسة وكيفية السير فيها.

لم يكن السبب فى هذه الحماسة التى دفعت الشعب الفنلندى لأن يرعى تراثه ويحافظ عليه، هو الجرى وراء ما يجد من العلوم، حينما عمت موجة الاهتمام بالتراث الشعبى أوربا، بل كان الدافع قوميا بحتا ومتصلا كل الاتصال بتاريخ الشعب الفنلندى وكفاحه ونضاله. أى أن الاهتمام بالتراث الشعبى نشأ فى فترة تاريخية عانى فيها الشعب الفنلندى أزمات نفسية جماعية، وأصبح البحث عن التراث الشعبى الضائع بمثابة البحث عن الذات التى افتقدها الشعب زمنا عانى فيه من جرائم الاستعمار البشعة الشئ الكثير. ولنبدأ من البداية متتبعين التخطيط العلمى الذى وضعه المختصون نصب أعينهم ثم حققوه بعد ذلك عمليا، الأمر الذى جعل الدراسات الشعبية فى فنلندا تسير - منذ أن نشأت - فى خط بيانى يتجه إلى أعلى ولايعرف الاعوجاج. فلم يمض جيل من الأجيال دون أن يبرز فى هذا الميدان فى فنلندا أساتذة عالميون يوجهون هذه الدراسات لا فى فنلندا فحسب بل فى العالم بأسره.

ظلت فنلندا ترزح تحت عبء الاحتلال السويدى قرابة قرن من الزمان، فقد غزت السويد فنلندا فى أواخر السابع عشر، ولم تتخلص فنلندا من هذا الاحتلال إلا فى عام ١٨٠٩. وفى خلال هذه الحقبة الطويلة، أخذ عدد الفنلنديين الذين يتحدثون لغتهم الأم يتضاءل، فقد فرض الاحتلال السويدى اللغة السويدية لا فى المدارس والجامعات فحسب، بل جعلها لغة الحديث اليومى. وكان الهدف من وراء هذه الخدعة الاستعمارية الماكرة بطبيعة الحال، هو الفصل التام بين الشعب الفنلندى وبين أصوله، تمهيداً لاذابته فى الشعب السويدى. وطبيعى أن تعمد

السويد بعد ذلك إلى حرق كل تراث فنلندى مكتوب. وتأكدت السويد واهمة أن عملية القضاء التدريجى على اللغة القومية وإبادة التراث القومى، كفيلة بأن تجنبها أية مقاومة شعبية. ولكن هذه الخطة أخفقت عندما قاوم الشعب الفنلندى كل أساليب الاضطهاد. ولم يهمه أن أحرق المستعمر تراثه، إذ أن ما كان الشعب الفنلندى يحفظه منه، كان كافياً لأن يكون دعامة قومية راسخة يبنى على أساسها شخصيته المستقلة من جديد.

وعلى الرغم من أن فنلندا لم تستقل تماما بعد ذلك، إذ أنها عاشت فترة احتلال آخر تحت حكم روسيا، إلا أنها منحت على الأقل استقلالها الداخلى، ومن ثم فقد بدأت فنلندا تتنسم عبير الحياة الفنلندية القومية. وكان أول من وضع أسس الدعامة العلمية لكثير من فروع البحث القومى فى فنلندا هو الأستاذ هـ.ج. بورتان (١٧٣٩-١٨٠٤) الاستاذ بجامعة «توركو» عاصمة فنلندا فى فترة الاحتلال السويدى، وتركزت الأبحاث حول اللغة الفنلندية والتراث الشعبى الفنلندى والتاريخ الفنلندى.

هذه الحماسة القومية البالغة هى التى دفعت «الياس لونروط» (١٨٠٢-١٨٨٢) لأن يقوم بأول رحلة ميدانية فى عام ١٨٢٨ لجمع الشعر الفنلندى.

وحينما أنشئت جمعية التراث الفنلندى فى عام ١٨٣١، لم يكن ذلك سوى استجابة لروح العصر. وربما كانت المادة الهائلة التى جمعها «لونروط» دافعا من دوافع إنشاء هذه الجمعية؛ إذ رأى المختصون ضرورة تنظيم هذه المادة التى جمعها لونروط من أفواه الشعب وتنظيمها واعتبارها نواة للارشيف الفولكلورى الذى بدأت الجمعية فى تأسيسه، ثم العمل أخيراً على نشرها. وانتخب «لونروط» أول سكرتير لهذه الجمعية كما روعى المبدأ الديمقراطى فى تكوينها. إذ أصبح لكل إقليم فى فنلندا ممثل أو أكثر فى هذه الجمعية. وقررت الجمعية أن تجتمع أول أربعاء من كل شهر، ومازال هذا التقليد متبعا حتى اليوم. كما اختير يوم ١٤ مارس - اليوم الذى توفى فيه بورتان - أبو التاريخ الفنلندى - يوم الاحتفال بانشاء الجمعية.

وهكذا انشئت الجمعية الفنلندية بجهود فردية، علمية ومادية، ومازال هذه هى السمة الأولى للجمعية، وإن كانت الدولة توليها كل رعاية.

وقد حددت الجمعية هدفها فى مبدأين رئيسيين: **أولا**: العناية بالتراث الشعبى جمعا وتنظيما ودراسة. **ثانياً**: العناية باللغة الفنلندية وبكل ما يكتب باللغة الفنلندية. ويهمنا الآن أن نشير إلى ما حققته الجمعية بالنسبة للتراث الشعبى والدراسات الشعبية.

وفى سبيل ذلك وضعت الجمعية خطة عمل واحدة كما حددت مسئولياتها فيما يلى:

**أولا**: الجمع بين الباحثين والتقريب بين وجهات نظرهم.

**ثانيا**: تنظيم الأرشيف تنظيما علمياً والعمل على إثراء مادته.

**ثالثاً**: الإشراف على جمع التراث عن طريق تعيين طاقم من الجامعين الدارسين ومنح جوائز رمزية للهواة الذين يجمعون التراث وفقاً لمنهج الجمعية العلمى.

**رابعاً** : إلقاء المحاضرات العلمية.

**خامساً**: العمل على نشر المادة الشعبية والأبحاث التي تكتب حولها.

ومقر الجمعية الرئيسى العاصمة «هلسنكى»، وهى على صلة تامة بفروعها التى أنشئت فى بعض بلاد فنلندا. وهى تستقل بمبنى كبير خصص الطابق الأسفل منه للأرشيف، والأوسط للمكتبة الهائلة، والعلوى بقسم الدراسات الشعبية. وبهذا أصبح هذا المبنى أشبه مايكون بالمعهد الكبير للدراسات الشعبية. وتتكون الهيئة التنفيذية للجمعية من اثنى عشر عضوا: مدير ونائبين له وسكرتير ومدير للمكتبة ومدير للأرشيف وستة أعضاء آخرين. ومدة العضوية لهؤلاء ثلاث سنوات فيما عدا السكرتير، ومدير المكتبة ومدير الأرشيف الذين تمتد عضويتهم إلى ست سنوات. وفضلا عن ذلك فالجمعية تضم أعضاء بالمراسلة وهم الأجانب الذين يشجعون نشاط الجمعية عن طريق الأبحاث العلمية. وحتى عام ١٩٥٥ كانت الجمعية تضم سبعة وعشرين عضواً بالمراسلة.

وفى عام ١٨٣٦ نشرت الجمعية الطبعة الأولى من ملحمة «كليفالا» وكان فى ذلك تحقق للآمال الرومانسية الوطنية التى تعد الدافع الأول على نشأة الجمعية. ألم يكن الشعب الفنلندى يحلم بإنقاذ ثروته القديمة من الشعر الشعبى؟ وحينما ظهرت الطبعة الثانية لهذه الملحمة فى

عام ١٨٤٩، كانت الملحمة قد بدأت تأخذ طريقها إلى قلوب أفراد الشعب الفنلندى وبدأ تأثيرها يظهر فى أعمال جماعة الفنانين الرومانسيين وفى أعمال الموسيقيين وذلك فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

ولا يعد «لونروط» مؤلفا لهذه الملحمة الوطنية الخالدة بقدر ما يعد منظما للمادة الشعبية فى شكل أدبى فنى. فقد قام لونروط برحلاته الميدانية فى عام ١٨٢٨ بقصد جمع التراث الشعبى الفنلندى من أفواه الشعب. وقد كان الشعب الفنلندى فى ذلك الوقت يحفظ تراثه حفظا متقنا وفى وفرة بالغة، إلى درجة أن بدأت المادة الشعبية تتدفق على قلم «لونروط» الذى رأى ضرورة تنظيم هذه المادة فى عمل فنى موحد، دون أن يغير من النص الشعبى على الإطلاق. ولهذا فقد بدأ يجمع بين الأشعار المختلفة فى موضوع واحد فى وحدة واحدة. وبهذا أصبحت الملحمة تتضمن أشعاراً بطولية وحكايات أسطورية وأغانى الاحتفالات والزواج والميلاد. وأغانى المهد وألعاب الأطفال وأغانيهم.

وسعد الشعب الفنلندى بظهور ملحمته الوطنية أيما سعادة، وأصبح يردد حوادث تاريخية فى جوها الأسطورى الرائع. كما أصبح يدرك تماما أن لغته غنية بالتعبير وليست فقيرة كما أوهمه الاستعمار من قبل. أى أن الملحمة الوطنية قد أيقظت فى نفس الشعب الفنلندى العقيدة والثقة.

وكانت الملحمة بمثابة الينبوع الذى تدفقت منه الأبحاث المختلفة حول الفن الوطنى والأدب الوطنى والتاريخ الوطنى وكل ما هو وطنى وقومى. بل إنها كانت دافعا وراء الرحلات الميدانية الواسعة التى قام بها الباحثون بقصد جمع مزيدا من التراث الشعبى.

وقد كان الواجب الأول على جمعية التراث أن تستخدم كل وسائل الأعلام لتنبيه الشعب الفنلندى إلى قيمة تراثه. وقد استجاب الشعب الفنلندى لهذا النداء ابتداء من عامة الشعب حتى الدارسين الأكاديميين. بل إن بعض العمال والفلاحين كانوا يدونون المادة الشعبية التى تعيش داخل نطاق الأسرة ويرسلونها إلى الجمعية. وقد ساعد على ذلك أن الأمية لم يكن لها وجود فى فنلندا منذ عام ١٦٠٠ كما تذكر مراجعهم العلمية. ثم كان الدارسون المتخصصون يقومون على رأس جماعة من الهواة للقيام برحلات علمية يشترك فيها الجميع فى عملية التسجيل والتدوين.

وفى عام ١٨٨٧ بلغ عدد المواد التى احتوى عليها الأرشيف ما يقرب من ٤٣٠٠٠ مادة موزعة كما يلى: ١٢٠٠ حكاية شعبية، ١٤٠٠٠ أغنية، ٢١٠٠٠ مثل شعبى، ٦٠٠٠ لغز، ٢٣٠ لحنا موسيقيا.

وهكذا أصبح الأرشيف فى نهاية القرن التاسع عشر يحتوى على مادة خصبة هدت الدارسين المتخصصين إلى أول منهج فى الدراسات الشعبية، وهو المنهج الجغرافى التاريخى الذى اشتهرت به فنلندا، والذى أسسه «يوليوس كرون» على أن «يوليوس كرون» لم يحقق هذا المنهج علميا كما كان يطمع، بل ترك ابنه الباحث الفولكلورى العالمى «كارل كرون» لكى يكمل رسالته من بعده. وكان ينبغى، تحقيقا لهذا المنهج، أن يرسل «كرون» الجامعين للعمل الميدانى لا ليجمعوا مزيدا من المادة الشعبية فحسب، بل ليجمعوا أكبر قدر من الروايات المختلفة للمادة الواحدة. وبهذا تغير منهج البحث الميدانى على يد كارل كرون، ولايزال هذا المنهج، أعنى تدوين أو تسجيل الروايات المختلفة للنص الواحد، متبعا حتى اليوم، لأنه أصبح يخدم مناهج متعددة للبحث نشأت بعد ذلك، ومن أهمها المنهج النفسى والمنهج الوظيفى. وقد علق الأستاذ الدكتور ماتى هافيو، أحد الأساتذة المحدثين فى فنلندا على منهج كارل كرون بقوله:

« لقد كانت مادة التراث الشعبى - قبل كارل كرون- تجمع بوصفها موضوعا لذاتها. أما بعد كرون فقد أصبحت المادة تجمع بقصد استخدامها فى البحث، أى أنها تعد مادة فحسب، كما أن البحث لم يعد مقصورا على ملحمة كاليفالا، بل شمل كل مادة تجمع من أفواه الشعب[١].

ثم تطور البحث خطوة بعد ذلك، إذ أعلن أحد الباحثين أن فهم النصوص المروية يتوقف على فهم معتقدات الشعب وعاداته وتصوراته، وإلا أصبحت النصوص عظاما بلا لحم. وتهدف هذه الدعوة إلى ضرورة ربط مادة التراث الشعبى بعضها ببعض، لأنها تنبع من شعب واحد وتؤدى غرضا واحدا فى حياته. ولهذا فقد نشط الجامعون لجمع مادة جديدة لم يكن يضمها الأرشيف من قبل وهى مادة السحر والطقوس.

---

(١) Studia Fennica, Tome VII, P. 15.

أما نشاط «كارل كرون» فى نطاق جمعية التراث الشعبى، فقد بدأ منذ أن كان طالبا بالجامعة. وقد استطاع أن يضيف إلى مادة الأرشيف ما يقرب من ١٨٠٠٠ مادة تحتوى على حكايات شعبية وأساطير وأشعار ومادة فى التطير والتفاؤل والسحر. وقد رأى «كرون»، بناء على تجاربه الميدانية، ضرورة تنظيم عملية الجمع بحيث يقوم بها جماعة من المتفرغين الذين يعينون بالجمعية، كما ألف لهم دليلا يكون رائدهم فى عملية جمع الحكاية الشعبية سماه «دليل لجامعى الحكايات الشعبية الفنلندية». واقتدى الباحثون به بعد ذلك، فظهر دليل آخر لجامعى مادة السحر. ثم أصدرت الجمعية فى عام ١٩٠٣ دليلا عاما لجمع التراث الشعبى كلها. وقد تم كل هذا تحت إشراف «كارل كرون» وبفضل نشاطه وحماسه الشخصى، حتى إذا كان عام ١٩٣٠ أى قبل وفاة «كرون» بثلاث سنوات بلغت مادة الأرشيف ٥٤٢٠٠٠ مادة. وبعد وفاته خلفه فى منصبه بوصفه رئيسا للجمعية الوطنية الأستاذ الدكتور «ماتى هافيو» الذى شغل منصب أستاذ الفولكلور المقارن بجامعة هلسنكى منذ عام ١٩٤٩ حتى عام ١٩٥٦.

وقد استطاع هافيو، أن يوجه العمل فى الأرشيف فى اتجاه آخر؛ فقد قدم أولا دراسة جديدة لملحمة كاليفالا تقع فى ستة أجزاء تعد دراسة للتراث الشعبى من وجهة نظر حديثة. وقد قدمت ودراسة لهذه الملحمة فى عدد من أعداد مجلة تراث الإنسانية التى كانت تصدر بالقاهرة. وقد نشرت أبحاث «كرون» حول ملحمة كاليفالا ضمن أبحاث «جماعة الفولكلور العالمية Folklore Fellowship Communication ومقرها فنلندا كما يشرف على إنتاجها أساتذة عالميون من بينهم «ماتى هافيو».

وقد روعى فى تنظيم الأرشيف أن يحتفظ بمجموعات الأفراد الجامعين كما هى فى ترتيب أبجدى، بعد فحص مادتها وتقديمها بفهرس يشير إلى ما تحتوى عليه من مادة. ومعنى هذا أن مادة الجامع إذا كانت مسجلة على شريط، ينبغى أن تفرغ كاملة. ويضم أرشيف الجامعين فى نفس الوقت بطاقات تحتوى على اسم الجامع وعمره والمكان الذى جمع منه مادته والمادة التى جمعها وتاريخ جمعها وإشارة إلى مجموعته التى تضم المادة الكاملة. ثم هناك بعد ذلك أرشيف الأمكنة وهو يحتوى على بطاقات أخرى مستخلصة من البطاقات الأولى وتحتوى كذلك على اسم الجامع وعمره والمادة التى جمعها وتاريخ جمعها وإشارة إلى المجموعة التى تضم

النص الكامل للمادة. والغرض من هذا الأرشيف هو ضم المواد المختلفة التى جمعت من مكان واحد بعضها إلى بعض، وذلك بقصد التسهيل على الباحثين الذين يهدفون، على سبيل المثال، إلى وضع دراسة اجتماعية نفسية من خلال المادة الفولكلورية لمجموعة من الشعب تسكن فى بيئة بعينها. ويأتى بعد ذلك أرشيف الموضوعات وهو يعتمد على التصنيف العلمى الذى وضعه الباحثون فى كل مادة. وقد نشط الباحثون الفنلنديون منذ زمن فى وضع هذه التصنيفات. وتصنيف «آنتى آرنى» للحكايات الشعبية معروف. وقد قام الأستاذ طومسون بتنقيحه وأصبح يعرف بتصنيف «آرن طومسون». وهناك تصنيف للأساطير والحكايات الأسطورية والحكايات التعليلية والموسيقى الشعبية والألعاب والسحر إلى غير ذلك. وتحتوى بطاقات هذا الأرشيف على ملخص للمادة أو على النص الكامل لها مع ذكر اسم الجامع وعمره والمكان الذى جمع منه مادته وتاريخ ذلك وإشارة إلى الكتالوج الذى يحتوى على المادة الكاملة، كما يحتوى على اسم الشخص الذى رويت عنه المادة وعمره. وقد تتكرر البطاقة الواحدة وتوضع فى أكثر من موضوع إذا اقتضى البحث ذلك. ومثال ذلك أرشيف التقويم، فهو يحتوى على معتقدات ومواد فى التفاؤل والتطير وطقوس سحرية وتنبؤات وأمثلة شعبية وعادات، وكل هذا ينبغى أن يكون له صلة بالتقويم السنوى. وهذه المادة نفسها نجدها ترصد فى الأرشيف الموضوعى العام الذى تنتمى إليه. فأمثال التقويم تأخذ مكانها فى أرشيف الأمثال، والطقوس السحرية تأخذ مكانها فى أرشيف السحر، وهكذا.

وليس تنظيم الأرشيف والعمل على اثراء مادته على الدوام سوى مظهر واحد من مظاهر نشاط جمعية التراث الفنلندى. فالعمل على نشر التراث الشعبى وما كتب حوله من أبحاث من أهم ما حرصت الجمعية على تحقيقه. وليس فى وسعنا أن نقدم قائمة بما نشرته الجمعية وقدمته، لا للشعب الفنلندى وحده، بل للمختصين فى العالم بأسره فى هذا الميدان، بل يكفى أن نشير إلى أن هذه الجمعية تعد المركز الذى تصدر منه أهم الأبحاث العالمية فى الميدان الفولكلورى، بل أنها تصدر الدوريات التى يعرفها كل باحث فولكلورى وهى مجلة F.F.C. ومجلة Temenos التى تتجه بالبحث اتجاها جديدا يهدف إلى الربط بين الفولكلور والدين. ثم مجلة دراسات فنلندية Studia Fennica ومجلة Proverbium وكل هذه الدوريات تصدر أبحاثها باللغات الانجليزية والفرنسية والألمانية معا حتى يتسنى للباحث فى أى مكان من بلاد العالم أن يتتبعها.

وينبغى أن أشير كذلك إلى أن الجمعية بعد كل هذا الجهد حققت هدفا بعيدا، هو الربط الوثيق بين التراث الشعبى الفنلندى والأدب الفنلندى بصفة عامة. ولعل هذا الربط هو الحافز الأكبر الذى يدفع كثيراً من الدارسين فى فنلندا لأن يدرسوا فى قسم الدراسات الشعبية.

## والمواد التى تدرس بهذا القسم هى:

١ - مناهج البحث فى الأدب الشعبى.

٢ - ملحمة كاليفالا.

٣ - الحكاية الخرافية.

٤ - الحكاية الشعبية.

(أ) الحكاية الشعبية الأسطورية.

(ب) الحكاية الشعبية التاريخية.

(ج)الحكاية الشعبية المحلية.

(د) الحكاية الشعبية التعليلية.

٥ - معنى الأصوات المقلدة للطبيعة.

٦ - الشعر الملحمى.

٧ - الشعر الغنائى الشعبى.

٨ - أغانى الأطفال.

٩ - التعاويذ السحرية.

١٠ - المعتقدات الشعبية.

١١ - الألعاب الشعبية.

١٢ - الأمثال والتعبيرات الشعبية.

١٣ - بيئة التراث الشعبى المتداول.

والقسم حريص فوق كل ذلك على إطلاع الباحث المبتدئ على أهم الأبحاث التى تصدر حديثا. ولذلك فقد خصصت محاضرات لمناقشة هذه الأبحاث بعد أن يقوم القسم بتصويرها وتوزيعها على الطلبة. وبهذا يتسنى للباحث أن يكون على صلة دائمة بأهم ما يجد من أبحاث، بل إن هذا يعينه على تمثلها تمثلاً كاملاً ، إذ إن منها ما يشق فهمه على الطالب المبتدئ. وفضلا عن ذلك فإن هذه المناقشة تهيئ للطالب فرصة تطبيق ما تحتوى عليه من هذه الأبحاث من مناهج، فى مجال دراسة التراث الشعبى الفنلندى دراسة عملية.

ونود الآن أن نشير على وجه السرعة إلى نموذجين من البحث العميق، أحدهما قديم نسبياً والآخر حديث، لندرك كيف أن البحث العميق يعد رائد الدارسين الفنلنديين منذ أن بدأت الدراسات الشعبية تأخذ طريقها إلى حياتهم العلمية. والبحث الأول للباحث «آنتى آرنى» صاحب التصنيفات الشهيرة. والبحث عنوانه «أساس البحث المقارن فى الحكاية الخرافية»(١).

وقد نشر البحث عام ١٩١٣ فى مجلة جمعية الفولكلور العالمية F.F.C.

ويبدأ الكاتب بحثه بعرض تاريخى لمناهج البحث فى الحكاية الخرافية حتى يصل إلى المنهج الجغرافى التاريخى، فيذكر أن أول من أشار إلى هذا المنهج هو العالم الفنلندى «يوليوس كرون» حينما تساءل فى بحثه عن ملحمة كاليفالا عن المكان الذى نشأت فيه الملحمة. وقد استطاع عن طريق القرائن اللغوية والمادية أن يصل إلى أن بعض أغنيات الملحمة نشأ فى غرب فنلندا وبعضها الآخر نشأ فى جنوبها. ثم انتقلت الأغنيات بعد ذلك من الغرب إلى الشرق ومن الجنوب إلى الشمال. وهكذا بدأ «كرون» يحلل الملحمة محاولا إرجاع كل نص فيها إلى ظروفه الجغرافية التاريخية الأولى.

ثم انتشر هذا المنهج فى فنلندا وليس غريبا أن ينتشر فيها، واستخدم بصفة أساسية فى البحث عن أصول الحكاية الخرافية. ذلك لأن الحكاية الخرافية على الرغم من قوانينها المحددة التى التزمتها فى جميع أنحاء العالم، تختلف رواياتها فى كثير أو قليل. ولما كان هذه الاختلاف يحدث وفقا لقوانين محددة فى التفكير والتصور، فإن الهدف الأول من هذا الاختلاف هو الوصول إلى نماذج من التفكير والتصور لدى كل من الشعوب التى عاشت بينها الروايات المختلفة للحكاية الواحدة.

(١) Anti Aarne: Leitfaden der vergleichende Märchenforschung, (Hamina, 1913).

على الباحث إذن أن يقارن بين الروايات المختلفة حتى يرتد بالحكاية إلى أصلها الأول ثم يسير معها فى تجوالها. وفى سبيل ذلك ينبغى أن يتبع خطة البحث التالية:

١ - جمع الروايات المختلفة للحكاية الواحدة جمعاً متقناً شاملاً.

٢ - ترتيب الحكايات ترتيباً مكانياً.

٣ - ترتيبها ترتيباً زمنياً قدر الإمكان.

٤ - تحليل مادة الحكاية الواحدة إلى عناصرها الأساسية وبحث كل عنصر على حدة.

٥ - المقارنة بين ملامح العنصر الواحد فى الروايات المتعددة. وهذه الملامح هى الشخصيات والعناصر السحرية والقدرات.

وإلى هنا تنتهى الخطوة الأولى من البحث. أما الخطوة الثانية وهى تحديد الشكل الأول للحكاية الخرافية فيتطلب من الباحث أن يراعى الفروض الآتية:

١ - أن الموتيفات التى ترد بوفرة فى بعض الروايات أكثر أصالة من تلك التى ترد فيها على قلة..

٢ - قد ترشد الأحوال الطبيعية التى تظهر فى الروايات المختلفة إلى تحديد الأصل المكانى.

٣ - الملامح التى تنتشر فى مساحة مكانية شاسعة أكثر أصالة من تلك التى تنتشر فى مكان محدود.

٤ - إذا كانت هناك روايتان إحداهما ناقصة والأخرى مكتملة.. تفضل الرواية الثانية على الأولى.

ومع ذلك فليس من السهل دائما الوصول إلى المكان المحدد الذى نشأت فيه الحكاية الخرافية، ولكن من السهل الوصول إلى البيئة العامة للحكاية، أى تحديد ما إذا كانت الحكاية أوربية الأصل أم أفريقية أم أسيوية.

على أن البحث فى الحكاية الخرافية لا ينتهى عند حد العثور على شكلها الأصلى والمكان والزمان اللذين نشأ فيهما هذا الأصل، والطريق الذى سارت فيه الحكاية الخرافية فى

انتشارها. بل تعد هذه الأبحاث عند اتمامها نقطة البداية لأبحاث كثيرة فى الحكاية الخرافية. فتحليل الحكاية الخرافية إلى عناصرها يساعد على استخلاص ما فيها من معتقدات وعادات وتصورات تكون مادة خصبة للاثنوجرافيين ولعلماء النفس وللانثروبولوجيين إلى غير ذلك. كما أن السؤال عن أثر الحكايات بعضها فى بعض معناه السؤال عن أثر الحضارات بعضها فى بعض. وكل هذه المسائل تعد مجال انطلاق لباحثى المستقبل.

ولما كان هذا المنهج يتطلب معرفة عميقة بالحكاية الخرافية وأصولها وعناصرها وموضوعاتها، فإنه يتحتم على الباحث أن يستفيد من الأبحاث الكثيرة التى صدرت فى هذا المجال، كما عليه أن يستعين بتصنيفات الحكاية الخرافية التى تهديه إلى الروايات المختلفة.

وإلى هنا ينتهى الجزء الأول من البحث، أما الجزء الثانى فهو دراسة تطبيقية لتلك النظريات التى وضعها آنتى آرنى. وهذا يدل على أن المذهب الجغرافى التاريخى لم يكن مجرد نظريات، بل أثبت أنه منهج عملى. وإذا كانت هناك مناهج متعددة قد جدت بعد ذلك، فإن المنهج الجغرافى التاريخى يعد فى الحقيقة أساسا لها. والشئ الذى جد على هذا المنهج هو أن العلماء لم يعودوا يحرصون على الوصول إلى التحديد المكانى الزمانى لحكاية من الحكايات، بل أصبحوا يستخدمون منهج المقارنة بين الروايات المختلفة استخداما عميقا واسعا بخاصة بعد أن أنشئ الأرشيف العالمى للحكاية الخرافية والشعبية فى مدينة «جوتنجن» بألمانيا الغربية.

وأما البحث الآخر فهو مقدمة كتاب «عقيدة الإيمان بالأرواح» فى «اينجرمان لاند»[1] للأستاذ الدكتور «هونكو» رئيس قسم الدراسات الشعبية فى جامعة توركو بفنلندا. وعلى الرغم من أن موضوع الكتاب محدود وليس عاما، إلا أن مقدمته الطويلة تعد رائدا لدراسة مثل هذا الموضوع فى أى مكان ما. وقد نشر البحث عام ١٩٦٢ ضمن مطبوعات .F.F.C.

وقد استطاع الباحث أن يعرض منهج البحث فى هذا الموضوع من خلال طرحه للأسئلة الآتية:

١ – فى أى الظروف تعيش عقيدة الإيمان بالأرواح، وما العوامل التى جعلتها تعيش حى الآن؟

---

(١) Lauri Honko; Geisterglaube in Ingermanland, Helsinki 1962.

٢ – ما الاحتياجات الإنسانية والمؤثرات الاجتماعية التى حققتها هذه العقيدة، بل جعلتها ضرورية ولازمة؟

٣ – من الأفراد الذين كان لهم الأثر البالغ فى حمل هذا التراث ولماذا؟

٤ – كيف تعيش هذه العقيدة فى حياة الفرد وفى حياة الجماعة؟

٥ – كيف تتمثل هذه العقيدة فى سائر أشكال التراث الشعبى، وكيف تكشف عن السلوك والتفكير الجماعى؟

إن الإجابة عن هذه الأسئلة ترسم منهجا يطلق عليه الباحث منهج «التحليل الوظيفى»، وحيث أن أهمية كل بحث أولا وأخيرا إلى مدى ما يستطيع أن ينقل الباحث إلى قارئه من معلومات، ومدى مقدرته على تعريفه بشئ جديد وعميق فى الوقت نفسه، فقد شرع الأستاذ «هونكو» بعد ذلك فى مقدمته فى شرح بعض المفهومات الفولكلورية شرحا علميا فولكلوريا مسهبا. وهذه المفهومات هى:

١ – التجارب الخارقة للعادة وهى تلك التى يعيشها الإنسان مع عالم الأرواح. فالشعب لايحكى عن هذه التجارب فحسب بل يعيشها. وقد تمكن الكاتب من تعريف هذه التجارب تعريفاً فولكلورياً واجتماعياً ونفسياً.

٢ – الأساس الواقعى لتجارب الإنسان مع عالم الأرواح. ويعنى بذلك الوصول، عن طريق عرض الأسئلة المحددة على الشعب، إلى إدراك طبيعة الأرواح من وجهة نظر الشعب وبهذا نصل إلى الأساس الواقعى لهذا التصور.

٣ – الإطار الذى يحتوى على الشواهد Frame of refererce.. ففى هذا الإطار يتحتم على الباحث أن ينظم الشواهد ويعطى لها الدلالات ويكملها. وهذه الشواهد هى التى تحدد قيمة الحياة بالنسبة للفرد والجماعة.

٤ – أشكال التجارب مع عالم الأرواح وهى تتمثل فى الرؤى المتخيلة وفى الرؤية البصرية والحالة الشعورية.

٥ – سلوك الإنسان إزاء هذه التجارب.

٦ – الطقوس السحرية التى يطرد بها الإنسان الأرواح الشريرة أو يسخر عن طريقها الأرواح الخيرة.

٧ – علاقة الدين بعالم السحر.

٨ – العلاقة بين الفرد والتراث الشعبى الجمعى.

وكما وضع الأستاذ آنتى آرنى النظريات من قبل ثم شرع بعد ذلك فى تطبيقها، فقد شرع الأستاذ هونكو بالمثل فى تطبيق منهج التحليل الوظيفى فى دراسته لعقيدة الإيمان بالأرواح فى منطقة «انجرمانلاند» فى فنلندا.

ونرجو أن تكون هذه الدراسة كافية لأن تقنعنا بأن الدراسات الشعبية المثمرة تنبع أولا من إحساس عميق بانتماء كل فرد إلى تراثه كما أنها فى أشد حاجة إلى العقلية العلمية المتخصصة.

الفصل الثالث

# الدراسات الشعبية فى ألمانيا

يمكننا أن نقول إن الدراسات الشعبية فى ألمانيا بدأت بصفة جدية فى القرن السابع عشر. ولم تكن الدراسات إنثروبولوجية أو إثنوجرافية، ولكنها كانت شعبية صرف. ففى هذا القرن تقدم الباحثون للجامعات الألمانية برسائل علمية عن الخرافات والأشباح. ولكن لما كانت ألمانيا فى ذلك العصر منجرفة فى التيار العقلانى الذى ساد فى أوربا فى أواخر القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر، فقد قوبلت مثل هذه الأبحاث بالسخرية والتسخيف من قبل المفكرين الذين لم يروها جديرة بالبحث الأكاديمى.

أما علم الدراسات الشعبية الحديث فى ألمانيا فهو يقترن بحق بالأخوين جرم اللذين نشرا عام ١٨١٢ أول مجموعة للحكايات الشعبية الجرمانية تحت عنوان «الأطفال وحكايات البيوت»، وهى المجموعة التى مايزال تأثيرها قويا حتى اليوم فى الشعب الألمانى. ولم يقم الأخوان جرم بجمع الحكايات الخرافية الألمانية فحسب، بل قاما كذلك بجمع الأساطير وأشكال العادات والقوانين الجرمانية القديمة. ولم يكن يدور بخلد الأخوين أنهما بذلك يرسيان دعائم علم جديد هو علم الدراسات الشعبية، ذلك أن هذا الإصطلاح[1] لم يرد فى أبحاثهما قط، بل كان الأخوان مدفوعين إلى ذلك بدافع قومى بحت؛ فقد خشيا فى موجة الامبريالية واختلاط العالم بعضه ببعض نتيجة فتوحات نابليون، أن تطمس معالم الشعب الألمانى، ويندثر تراثه الشعبى. ومن ثم فقد ألحا على جمع كل ما له طابع جرمانى قديم. ولعل هذا هو السبب فى اهتمام الأخوين بجمع التراث الجرمانى فى قبل عصر المسيحية؛ ذلك أنهما عدا المسيحية دخيلة على تراث الشعب الجرمانى الوثنى الذى حرصا كل الحرص على جمع أساطيره وتقاليده وعاداته وخرافاته. فإذا أضفنا إلى ذلك ما قام به الأخوان من دراسات لغوية معتمدة على المادة جمعاها، فإن دراسات الأخوين وجهودها تعد بحق الدعامة الأساسية التى ارتكزت عليها الدراسات الشعبية فيما بعد. ولقد كانت هذه الدراسات وتلك الجهود بمثابة القوة المحركة لنشاط حركة الدراسات الشعبية فيما بعد، والدافع الأول لظهور جيل بل أجيال من رواد الفكر الألمانى فى مجال الدراسات الشعبية بصفة عامة.

وقد خصص الباحثون الألمان القدر الأكبر من جهدهم فى دراسة التراث الشعبى الألمانى بعامة.

---

(١) فولكسكندة Volkskunde

ففى عام ١٨٩٨ ألف «هوجو ماير» «الفوكسكنده الألمانى». وكانت تلك الكلمة قد شاعت فى ذلك الوقت بتأثير محاضرة «ريل» (١٨٢٣-١٨٩٧) تحت عنوان «الفولكسكندة بوصفه علما» (كما سنشير إلى ذلك وشيكا). ويحتوى هذا الكتاب على معلومات دقيقة عن شكل القرية الألمانية وأشكال البيوت، كما يعرض فيه عادات الفلاحين وتراثهم الروائى من حكايات وأمثال وألغاز. وفى عام ١٩٠٤ ألف «إيريك شيمدت» كتابه عن «الفولكسكنده الألمانى فى عصر سيادة النزعة الإنسانية وعصر تحول المسيحية». وفى عام ١٩٢٦ ألف «جون ماير» كتابه حول «الدراسات الشعبية الألمانية». كما ألف «ولهم بسلر» موجز الدراسات الشعبية الألمانى» فى ثلاثة أجزاء. وفى عام ١٩٣٤ ألف «أدولف سبامر» كتابه «الدراسات الشعبية الألمانية» ويقع فى جزءين. وهذه الكتب جميعا أشبه بدوائر المعارف التى تعرض التراث الشعبى عرضا تاريخيا نقديا وتفسيريا. ومنذ عام ١٨٥٥ بدأت تصدر مجلة «الفلكسنده الألمانى»، وبعد ذلك تكونت جمعية الفلكسنده التى ضمت المؤرخين والأدباء ومديرى المتاحف وأساتذة القانون والطب والموسيقى الذين أبدوا، كل فى مجاله، الاهتمام بالتراث الشعبى. وقد كان لهذه الجمعية أكبر الأثر فى لم شمل الاهتمامات الفولكلورية المتفرقة وتوجيهها فى شكل علمى منظم.

ومن أهم ما يميز الكتب والموسوعات الألمانية التى صدرت فى مجال الدراسات الشعبية فى ذلك الوقت أنها لم تكن تقتصر على تقديم النصوص، بل أنها كانت ترفقها بالدراسات والتعليقات. حقاً إن مثل هذا حققه الباحثون فى بلاد أخرى متحضرة، ولكن ألمانيا سبقت هذه البلاد فى هذا المجال دون شك. والدليل الواضح على هذا، أن الدراسات التى قدمت بها مجموعة «بوكاشيو» «دى كاميرون» لم يقم بها الباحثون الإيطاليون، بل قام بها الألمان. وإلى جانب هذا فإن عملية الجمع الدقيق والفهرسة المنظمة والتصنيف العلمى من أهم ما يميز الدراسات الشعبية الألمانية. وما تم عمله فيما يختص بالأغنية الشعبية الألمانية لم يتم فى أى بلد آخر. ففى مدينة « فرايبورج» تم إنشاء أرشيف خاص بالأغانى الشعبية ويضم مئات الآلاف من النصوص التى نظمت وصنفت بطريقة رائعة. وقد بدأ العمل فى هذا الأرشيف عام ١٩٣٥ على يد «جون ماير» و«إيريك سيمان» ثم أكمل فيما بعد، وصدر من نصوصه أربعة مجلدات حتى اليوم. وشبيه بالعمل فى مجال الأغنية ما قام به «كورت رانك» فى مجال الحكايات الشعبية. وكذلك «بولتى» و«بولفيكا» و«بويكارت». اما رانك فقد نشر كتاباً ضخماً عن «الحكايات الشعبية فى شمال ألمانيا» تحت عنوان «شيلزفج هولشتين». وهذا الكتاب لايحتوى

على نصوص الحكايات فحسب، بل يحتوى كذلك على دراسة يفيد منها أى دارس فى مجال الحكايات الشعبية. واما «بولتى» و«بوليفكا» فقد أصدرا ملحقات لحكايات الأخوين جرم تقع فى خمسة أجزاء تحت عنوان «ملاحظات حول حكايات الأطفال والبيوت». وأما «بويكارت» فقد ألف «المعجم المختصر للحكايات الشعبية».

وإلى جانب الاهتمام بالحكايات الشعبية.. اهتم الباحثون الألمان بالأمثال والألغاز والمعتقدات؛ فقد ألف «فاندر» معجم الأمثال الشعبية الألمانية ويقع فى خمسة أجزاء، كما ألف «باول سارتورى» من قبل كتاباً فى ثلاثة أجزاء عن التقاليد والعادات الألمانية.

ويحق لنا أن نتساءل بعد عرض هذه الجهود، عن المناهج التى سارت وفقاً لها الدراسات الشعبية فى ألمانيا. على أن هذا يتطلب منا، قبل عرض هذه المناهج، أن نعرض المشكلات التى أثيرت حول هذه الدراسات وما نشأ حولها من جدل علمى. ويمكننا أن نلخص هذه المشكلات فى النقاط الثلاث الآتية:

١ - علاقة الدراسات الشعبية، خاصة بعد أن استقلت وأصبحت علماً مستقلا، بالدراسات الإنسانية الأخرى التى كانت الدراسات الشعبية تعيش فى كنفها، وهى الدراسات الأنثروبولوجية والأثنولوجية والاثنوجرافية والحضارية والاجتماعية.

٢ - مفهوم الشعب موضوع الدراسات الشعبية.

٣ - موضوعات البحث التى ينبغى أن يتناولها علم الدراسات الشعبية.

ولقد أثيرت هذه المشكلات فى الحقيقة إثر المحاضرة التى ألقاها «ريل» فى منتصف القرن التاسع عشر تحت عنوان «الدراسات الشعبية بوصفها علماً». وقد استطاع «ريل» فى هذه المحاضرة أن يرسى دعائم هذا العلم الذى رأى أن اختصاصه الأول ينبغى أن يهتم بدراسة الشعوب من الجانبين الفكرى والمادى. قال «ريل»: إذا كانت الدراسات الشعبية لم يبدأ الحديث عنها إلا منذ نصف قرن على وجه التقريب، فإن التراث الشعبى نفسه قديم قدم آداب الشعوب. وإذا قيل لنا إن هيرودوت وهومير قد أسهما بحق فى هذا المجال، فإننا نرد على ذلك بأن هذا الباحث وذاك الشاعر لم يكتبا فى الدراسات الشعبية على نحو علمى، بل كان هومير شاعراً وهيرودوت مؤرخاً فى المحل الأول. ولم يكن النتاج الشعبى بالنسبة لهما هدفا فى حد

ذاته، بل كان وسيلة لخدمة غرض آخر. ولا يصبح العلم علماً مستقلا إلا عندما يعثر على جوهره ويتحرر من عبوديته لأى علم آخر، تماماً كما لا يصبح العبد حراً إلا بعد أن ينسلخ من عبوديته لسيده(١).

وليس العلم من وجهة نظر «ريل» مجرد الحصول على معارف عن شئ ما. وحتى إذا استطاع الباحثون أن يحصلوا على أدق المعلومات حول هذا الشئ وأن يجمعوا بعضها إلى بعض، فإن هذه المعارف المتراكمة تصنع برج بابل على حد تعبيره ولا تصنع العلم. وإنما العلم من وجهة نظره هو، إدراك واقع الشئ وتلمس كنهه للوصول إلى حقيقته الداخلية. وهو الإمساك بحقيقة الشئ وفقاً لقوانينه وطبيعته وديناميته. وفيما يختص بالدراسات الشعبية، فإن مجرد معرفة حقائق الحياة الشعبية لا يكون مضمون هذا العلم. بل يتمثل محتواه فى إدراك قانون الحياة الشعبية والبنية العضوية لشعب من الشعوب. ومن ثم فلا ينبغى أن تقتصر الدراسة على مجرد إحصاء ظواهرها، بل ينبغى أن تتعدى ذلك إلى إدراك فلسفة الشعب الذى يرتبط كل الارتباط بتاريخه وظروفه البيئية، هذا الارتباط الذى يتمثل فى جوانب ثلاثة: جانب ظاهرى ويتمثل فى الشعور بالقومية، وجانبين خفيين ويتمثلان فى التطور المادى والتطور الفكرى. ومنذ ذلك الحين أصبحت الدراسات الشعبية علماً مستقلا، كما أدرك الباحثون أن ثمة موضوعات تفصله عن علم التاريخ وعلم الجغرافيا وعلم الحضارة وعلم الإنسان وعلم الاجتماع.

ففى عام ١٨٩٠ نشر «كارل فاين هولد» بحثاً تحت عنوان: «ماذا ينبغى على علم الدراسات الشعبية أن يحقق». وقد رد «فاين هولد» على ذلك بأن مهمة علم الدراسات الشعبية تنحصر فى دراسة الشعب الذى يعيش فى ظروف تاريخية وجغرافية محددة(٢).

فعلم الدراسات الشعبية علم تاريخى وقومى، ومجال دراسته هو الشعب من الناحية الفيزيائية والتاريخية والجغرافية، بقصد الكشف عن اهتماماته الروحية والمادية. وفى هذا

(١) Volksunde: Ein Handbuch zur Geschichte ihrer Probleme, (herausgegeben von Gerhard Lutz) Berlin1958, S.24

(٢) المرجع السابق، ص ٣٩.

يختلف علم الدراسات الشعبية عن علم الانثروبولوجيا أو علم الإنسان كما نسميه. ففى حين يهتم علم الأنثروبولوجيا بدراسة الإنسان فى طبيعته الأولية بصرف النظر عن الجنس والزمان والمكان، يهتم علم الدراسات الشعبية بدراسة شعب معين فى أحواله المعاشة. وقد يستعين علم الدراسات الشعبية بعلم الإنسان إذا كان موضوع دراسته المخلفات الاعتقادية (Survivals) عند هذا الشعب. وبالمثل فى حين يهتم علم الإثنوجرافيا بوصفه إنتاج الشعب المادى دونما اعتبار إلى ما إذا كان هذا الإنتاج بدائياً أم متحضراً، فإن علم الدراسات الشعبية يهتم بالشعوب التى دفعها التطور الحضارى إلى مرحلة معينة تعيش فيها فى ظروفها الراهنة.

فإذا انتقلنا إلى علم تاريخ الحضارة، فإننا نجد هذا العلم، كما يعنى اسمه، يبحث فى الأنشطة الإنسانية المعبرة عن التطور الحضارى. ومن ثم فإنه يهتم فى المحل الأول بالنشاط الفردى الذى أدى إلى المدنية. فهو يهتم بتطور أجهزة النظام الكنسى وتطور القانون والاقتصاد والفكر والنظام الاجتماعى والأعياد والعلوم والفنون والصناعة. وقد يعترض بأن مؤرخى الكنائس هم الذين يهتمون أصلاً بتطور نظام الكنسى وبأحوال الكنيسة، وبالمثل يهتم الفنانون بدراسة تطور الفنون وهلم جرا. فما دور علم الحضارة إذن؟ وهنا نجيب عن ذلك بأن علم الحضارة يستفيد من أبحاث كل هؤلاء ويجمع بعضها إلى بعض ليقدم صورة كاملة للتطور الحضارى لشعب من الشعوب. وإذا كان علم الدراسات الشعبية يتناول هذه الجوانب، فإنه دون شك يتناولها من زاوية أخرى وهى زاوية وظيفتها فى حياة الناس المعاشة ومغزاها الشعبى.

أما فيما يختص بتحديد مفهوم الشعب فقد انقسم الباحثون إزاء ذلك شيعا. ولم يكن غريباً أن يكون السؤال عن الشعب قد راود المفكرين فى القرن الثامن عشر، وهو القرن الذى ازدهر فيه الإحساس بقوة الفرد وبالاتجاه العقلانى فى التفكير. على أن السبب الأساسى الذى حدا بالمفكرين لأن يتساءلوا عن الشعب كان يتمثل فى دافعين: دافع علمى وآخر اجتماعى قومى. فعندما بدأ العلماء يهتمون بفلسفة التاريخ، كان من الطبيعى أن يتساءلوا عن الروح الشعبى الذى يفوق فى تأثيره فى التطور التاريخى القوة الفردية. وأما الدافع الاجتماعى الوطنى فقد كان نتيجة إعجاب الكتاب الرومانسيين بكل ما هو شعبى وقومى.

وعبارة «ج. ماير» في هذا المجال تصور مدى هذا الإعجاب إذ قال: «لقد خلع الكتاب الرومانسيون معطف الشحاذين عن الشعب الألماني وألبسوه معاطف الملوك وتيجانهم»[1]. والواقع أن ليس هناك وقت من الأوقات شعر فيه المفكرون بعقدة الذنب إزاء الشعب الذى أهمل طويلا كما حدث فى العصر الرومانسى.

ولكن من الشعب الذى نتخذه موضوع الدراسات الشعبية؟ هل هو الشعب بأسره أم طبقة محددة منه؟ وقد أجاب «هوفمان كراير» عن هذا السؤال فى بحث له نشره عام ١٩٠٢ بقوله: «إن كلمة الشعب تحتوى على مفهومين، أحدهما سياسى والآخر اجتماعى حضارى. وفيما يختص بالمفهوم الأول تستعمل كلمة «أمة»، أما فيما يختص بالمفهوم الثانى فتستعمل كلمة «الشعب». وعند ذلك تساءل «كراير» عن أى المفهومين يهتم به علم الدراسات الشعبية. وقد أجاب بأنه يهتم بطبيعة الحال بالشعب ذى المفهوم الحضارى الاجتماعى. وهو يهتم بهذا الشعب من وجهة نظر تختلف عن وجهة نظر أى علم آخر يكون موضوعه جانباً من جوانب هذا الشعب[2].

ولما كثر استعمال كلمة روح الشعب تساءل «جيرامب» ١٩٢٤ فى مقال عنوانه «ماهو الفولكسكنده» عما يعنى بعبارة روح الشعب، فأشار إلى ما سبق أن ذكره «فوندت» الباحث النفسانى من أن روح الشعب تعنى تجاربه الداخلية، وهو يعنى هنا التجارب الجماعية لا الفردية. والشعب يستعين بالأسطورة والحكاية واللغز والمثل والأغنية للتعبير عن هذه التجارب. كما تكشف عن هذه التجارب معتقداته وتقاليده وعاداته. وبعد ذلك عرف «جيرامب» الشعب بأنه تلك الجماعة العضوية التى تشترك معاً فى تكوين الحضارة. وهذه الجماعة ليست من وجهة نظره الأمة جميعها، ولكنها تلك الجماعة التى تنشأ فى الأرض الأم وترتبط بها ارتباطا قويا يجعلها تعيش فى شكل وحدة عضوية متماسكة.

وفى عام ١٩٤٦ صدر كتاب رائد للأستاذ الدكتور «ريتشارد فايس» تحت عنوان «الدراسات الشعبية السويسرية» وعلى الرغم من أن هذا الكتاب يختص بدراسة التراث

---

(١) المرجع السابق، ص ١٨٠.

(٢) Peuckert, Lauffer: Volkskunde. (Bern,1951) S. 9-10

الشعبى السويسرى، فإنه أحدث صدى كبيرا فى ألمانيا لما يحتوى عليه من دراسات نظرية على جانب كبير من الأهمية. وقد عارض «فايس» فى هذا الكتاب فكرة انتماء الفرد إلى الطبقة الدنيا أو الطبقة العليا، كما عارض فيه اختصاص الدراسات الشعبية بطبقة بعينها دون الأخرى. وذلك أن كل فرد من وجهة نظره ينتمى من ناحية السلوك الروحى، إلى ما هو شعبى وما هو فردى معا. أى أن «فايس» لا يبحث عن الشعب من ناحية تكوينه الاجتماعى، بل من ناحية سلوكه الروحى. ومن ثم يمكن أن يكون كل فرد موضوعا للدراسات الشعبية بناء على درجة الشعبية فى تكوينه الروحى والفكرى. ومقياس هذه الشعبية يتحدد بدرجة ارتباط الفرد بمجتمعه وبتراثه(١).

فإذا انتقلنا بعد ذلك إلى الحديث عن الجدل الذى ثار حول الموضوعات التى ينبغى على علم الدراسات الشعبية أن يتناولها على وجه التحديد، فإننا نجد «موج» يعارض «فاين هولد» فى ذلك التحديد المبهم لاختصاصات علم الدراسات الشعبية، عندما قال إن مهمة هذا العلم تتحدد بدراسة شعب بعينه من الناحية الفيزيائية والتاريخية والجغرافية بقصد الكشف عن اهتماماته الروحية والمادية. ودراسة الملامح الفيزيائة لشعب من الشعوب من وجهة نظر «موج» تدخل ضمن اختصاص الدراسات الأنثروبولوجية أو التاريخية أو الجغرافية. أما فروع الدراسات الشعبية فتنحصر من وجهة نظره فيما يلى:

١ – اللغة.

٢ – المعتقدات.

٣ – السلوك.

٤ – الحرف والأعمال والملابس والأطعمة.

أما اللغة فتشتمل على فروع الدراسات الآتية:

(أ) اللهجات.

(ب) ثروة الشعب اللغوية وأساليب الحياة اللغوية.

(ج) أسماء الشخوص والأمكنة والجبال والغابات والحيوان والنبات.

(د) أشكال التعبير الشعبى الفنى.

(١) Richard Weiss: Volskunde Schweiz.( Zurich,1946) S,8.

وأما المعتقدات الشعبية فتنقسم إلى قسمين، معتقدات حية وأخرى ميتة. أما الأولى فهى تلك التى تحيا فى أفكار الشعب على الدوام لارتباطها بكيانه ووجوده مثل الاعتقاد فى التشاؤم والتفاؤل بأشياء محددة، والاعتقاد فى الأرواح والسحر. وأما المعتقدات الميتة فهى تلك التى أصبحت أشبه بالطقوس التى تتبع بوصفها عادة دون أن يعرف الشعب نشأتها وسبب نشأتها (ومثال ذلك فى تراثنا الشعبى الاحتفال بشم النسيم وما يصحبه من مأكولات معينة).

وأما سلوك الشعب، فيرتبط بتكوينه بوصفه جماعة ذات بنية عضوية. أى أنه يتمثل فى حياة هذا الشعب الاجتماعية وطريقة استجابته للتطور الحضارى من ناحية وأحداث عصره من ناحية أخرى.

وأخيراً تأتى الأعمال والحرف الشعبية والملابس والأطعمة. وكل هذا يرتبط كل الارتباط بتراث الشعب القديم. ومن ثم فإنه يتحتم الرجوع إلى الوراء عند دراسة هذه الجوانب بهدف استبيان ما هو أصيل فيها وما هو دخيل عليها(١).

ولم يختلف «فيكتور جيرامب» كثيرا عن «موج» فى تحديد اختصاصات علم الدراسات الشعبية، ولكنه تحدث عن ضرورة الاهتمام بما يشغل الروح الشعبى من تصورات أسطورية ومخلفات بدائية، مستعينا فى ذلك بالدراسات النفسية التى تبحث فى اللاشعور الجمعى. وفى هذا يتفق معه «أدولف سبامر».

أما «يولوس شفيترنج» فقد عارض هذا المنهج النفسى ونادى باتباع منهج آخر هو المنهج الاجتماعى. فالهدف من الدراسات الشعبية من وجهة نظره، ليس هو البحث عما يشغل الروح من تصورات بدائية وأسطورية فحسب، بل إن الهدف الأساسى يتمثل فى دراسة حضارة الشعب المادية. ومن ثم ينبغى أن تنحصر الدراسة فى محيط الفلاحين المرتبطين بالأرض الأم، تلك الأرض التى تصعد منها على الدوام قوى جديدة تبتعد عنها ولا تعود إليها. وبناء على ذلك

---

(١) Eugen Mogk: Wesen und Aufgaben der Volkskunde-Mitteldeutsche Blätter für Volkskunde 1-1926 S.22-24.

فقد حدد يوليوس موضوع الدراسات الشعبية بدراسة مجتمع الفلاحين فى بيئته الطبيعية، وذلك من الناحيتين التاريخية والاجتماعية(١).

وقد استطاع «هانز ناومان» بعد ذلك أن يستفيد من هذا الجدل، وأن يجمع بينه فى الدراسات الشعبية الألمانية فيما سماه بالمنهج التاريخى النفسى فى دراسة الشعوب؛ فلا يمكن فهم شعب من الشعوب من وجهة نظره، مالم نعده متطورا عن المرحلة البدائية. ومن ينكر أصول التفكير البدائى فى الانسان المعاصر، لا يمكنه أن يفهم أى إنتاج فنى يخلقه الشعب. فإذا جاوز الدارس المرحلة البدائية، بحث عن حقبة العصور الوسطى ومجتمع الفروسية، وفى هذه الحقبة كما يقول «ناومن» لا نجد ذكرا للطبقة الشعبية الألمانية. ولكنه حدث بعد عصر الفروسية وعصر النهضة والباروك، أن هبطت مادة التراث الشعبى من مجتمع البلاط ومجتمع الفروسية إلى الطبقة الدنيا، ويتمثل هذا فى الأزياء الشعبية وفى حكايات الفروسية والأغانى والموسيقى، وعند ذلك أمكن أن تقوم للدراسات الشعبية قائمة، فالفولكسكنده يعلمنا من ناحية كيف هبط تراث المجتمع الجرمانى فى العصور الوسطى إلى المجتمع الشعبى الصرف، بحيث استطاع هذا المجتمع أن يخرج من الطور البدائى إلى الطور التاريخى(٢).

على أن دراسة تحلل المادة الشعبية الأرستقراطية ليس هو الهدف الأخير من الدراسات الشعبية، بل يعد البداية الأولى، وتأتى من بعدها المرحلة الثانية وهى مرحلة دراسة الابداع والخلق عند الطبقة الدنيا من تلك المادة التى وصلت إليها. ذلك أن عملية الخلق التى تنبع من اللاشعور فى هذه الحالة. تختلف فى تكوينها عن عملية الابداع والخلق فى الطبقة العليا. ومن ثم فإن مهمة الدراسات الشعبية تتمثل فى دراسة التجارب الشعبية اللاشعورية.

وهكذا نرى كيف نشأت الدراسات الشعبية فى ألمانيا، وكيف تطورت بتأثير الجدل الذى أثير حول هذه الدراسات. وعندما انفتحت أمام الدارسين مجالات البحث، كان ينبغى عند ذلك أن تتبلور المناهج التى استخدمت فى دراسة التراث الشعبى الألمانى فيما يلى:

---

(١) Peuckert: Volkakunde, S.11.

(٢) Gerhard Lutz: Volksktude, S.105-106.

## أولا: المنهج التاريخى اللغوى:

كان من الطبيعى أن يسود الاتجاه التاريخى فى جمع التراث الشعبى ودراسته منذ بداية الأمر، ذلك أن الرواد الأوائل لهذا العلم وعلى رأسهم الأخوان جرم بدأوا منذ البداية فى البحث عن الحضارة الأولى للشعب الجرمانى وما تخلف عنها من إبداع شعبى. ومن ثم فقد بدأ الاخوان جرم بجمع الأساطير والحكايات الجرمانية القديمة التى كان الشعب الألمانى مازال يرويها حتى عصرهما. على أن الأخوين جرم لم يركزا اهتمامهما حول ما تعكسه هذه الأساطير والحكايات من رواسب اعتقادية جرمانية قديمة فحسب، بل اتخذ منها وثيقة لدراسة التطور اللغوى فى اللغة الألمانية. ومن هنا نشأ ما سمى بالمنهج التاريخى اللغوى. على أن الباحثين من بعد الأخوين جرم أدركوا أن الأغانى الجرمانية تعد كذلك، إلى جانب الأساطير والحكايات، منبعاً خصباً للدراسات اللغوية الجرمانية. ومن ثم فقد عكفوا على جمع الأغانى الشعبية. ولكنهم مالبثوا أن أدركوا أن كثيراً من هذه الأغنيات الشائعة يرجع إلى التأليف الفردى لا الجماعى، ومن ثم نشأ السؤال حول أصل هذه الأغنيات ثم عن مصير الأغنيات الشعبية الأصيلة فى الانتشار. وفيما كان الباحثون مهتمين بالدراسات اللغوية، أدركوا أن الكلمات مرتبطة بالأشياء، ومن ثم فقد ظهرت مجلة «الكلمات والأشياء» عام ١٩٠٩[١]. ومعنى هذا أن البحث اللغوى أدى إلى البحث الأثنولوجى. ثم أن البحث عن الشئ أدى إلى البحث عن العادات والمعتقدات المرتبطة بهذا الشئ. ومن ثم كان يتحتم أن تظهر مناهج أخرى تستوعب كل هذه الجوانب الجديدة من البحث. وقد ظهر حقاً بعد ذلك المنهج الجغرافى.

## ثانيا: المنهج الجغرافى:

لم ينشأ هذا المنهج بوصفه رد فعل للمنهج التاريخى اللغوى فحسب، بل كان هذا المنهج فى الحقيقة استجابة ملحة للرغبة فى دراسة حضارة الإنسان فى ارتباطها بالمكان. فطبيعة البيئة وارتباطها بظروف تاريخية محددة، يكونان شخصية الشعب التى تفاجئ الزائر الغريب له لأول وهلة. وقد بدأ الباحثون، نتيجة إدراكهم لهذه الحقيقة، بعمل الأطلس اللغوى الذى بدأه

(١) achen. Wörter and Sachen

«فينكر» عام ١٨٧٦. وفى سبيل إتمام هذا العمل وزعت البطاقات على الجامعين المزودين بأسس العمل الميدانى، فقاموا بتدوين الظواهر اللغوية الشعبية نطقاً وتعبيراً. وفى عام ١٩٠٧ عبر «بسلر» عن رغبته الملحة فى البدء فى عمل الأطلس الفولكلورى أسوة بالعمل فى الأطلس اللغوى. وفى هذه المرة بدأ الجامعون الميدانيون فى تدوين الظواهر الفولكلورية المرتبطة أصلا بالتقاليد والمعتقدات والعادات على بطاقات تسلم إلى المكلفين بتوزيعها جغرافياً على الخرائط وفق إشارات رمزية يتفق عليها وتفسر فى هامش الخريطة. كما يدون فى أعلى الخريطة السؤال المرتبط بمعتقد من المعتقدات مثل الاعتقاد فى الجن على سبيل المثال، وهو السؤال الذى قام الجامع بطرحه على عدد كبير من أفراد الشعب فى جميع بقاع ألمانيا. ومما هو جدير بالذكر أن هذا الأطلس لم يظهر على الخرائط الظواهر الفولكلورية فحسب، بل أظهر معها الظواهر الدينية والاقتصادية. ثم أرفقت بهذا الأطلس أبحاث يختص كل منها ببحث جانب من هذه الظواهر المصورة على الخرائط. وبهذا يمكننا أن نقول إن مثل هذا الأطلس لايخدم الدراسات الشعبية وحدها، بل يخدم كثيراً من العلوم المرتبطة بهذه الدراسات. وعلى الرغم من ذلك، فلم يكن فى وسع هذا الأطلس أن يدون على خرائطه جميع أشكال التعبير الشعبى مثل الأغنية الشعبية والفن الشعبى والحكايات الشعبية. ومع ذلك فإن هذا المنهج ساعد بدون شك على إبراز معالم الإنسان المرتبط ببيئة جغرافية محددة. ولقد حذت جميع بلاد أوروبا، فيما بعد، حذو ألمانيا فى عمل الأطلس اللغوى والأطلس الفولكلورى. ومن ثم فقد ساعد هذا العمل العلمى الجليل لا على إدراك سلوك الإنسان ومعالم حضارته فى الحيز المكانى الذى يعيش فيه فحسب، بل ساعد كذلك على القيام بدراسات مقارنة بين الشعوب بعضها وبعض.

وقد كان المنهج الجغرافى التاريخى قد ثبتت دعائمه بين الباحثين الفولكلوريين فى فنلندا فى الوقت الذى نهضت فيه ألمانيا وسائر بلاد أوروبا من بعدها بانشاء الأطلس الفولكلورى. ولما كان المنهج الجغرافى التاريخى يهدف أولا إلى جمع روايات كل حكاية شعبية أو خرافية جمعاً تاريخياً وجغرافياً نتيجة إدراك أصحاب هذا المنهج وعلى رإسهم «آنتى آرنى» و«كارل كرون» بوجود التشابه بين روايات الحكاية الواحدة التى تروى فى كثير من بلاد العالم، وذلك بقصد الاهتداء إلى الأصل الأول لهذه الحكاية، فقد رأى أصحاب المنهج الجغرافى أن يستغلوا ماحققته المدرسة الفنلندية فى توزيع الحكايات توزيعاً جغرافياً على الخرائط. وقد اعترض على

هذا بعض الباحثين وعلى رأسهم «والترأندرسون» الذى رأى أن توزيع الروايات المختلفة للحكاية الواحدة على الخرائط لن يفيد الباحث فى الحكايات الشعبية كثيراً، حيث أن الباحث يعد كل رواية حكاية مستقلة ينبغى دراستها على حدة فى بيئتها.

## ثالثا: المنهج النفسى:

كان أول موضوع أثاره المهتمون بالدراسات النفسية للشعوب هو موضوع الأرض الأم. وهم يعنون بذلك تلك الأرض التى نشأ عليها الإنسان البدائى فى مراحل حياته الأولى، وارتبط فيها بتصورات ومعتقدات بدائية محددة. ذلك أنه قد تكشف لهؤلاء، نتيجة الأبحاث الأنثروبولوجية الرائعة التى قام بها «فريزر» بصفة خاصة، أن هناك رواسب من العصور البدائية تعيش مع الإنسان المتحضر حتى اليوم، وأن هذه الرواسب ليست بالقليلة بحيث يمكن إغفالها. ولا مفر لنا من أن نبحث عن هذه الرواسب فى الفرد الشعبى وفى أشكال تعبيره مثل الحكايات الشعبية والأغانى، وذلك إن شئنا أن ندرس الشعب دراسة متكاملة من الناحيتين السلوكية والروحية. وقد بالغ أصحاب هذا المنهج فى قيمة منهجهم، إلى درجة أنهم ادعوا أن علم الدراسات الشعبية إن هو إلا علم الدراسات النفسية للشعوب. ومن ثم فقد طرح هؤلاء الباحثون نفس السؤال الذى طرحه الفولكلوريون من قبل عن مفهوم الشعب موضوع هذه الدراسات. ولكنهم لم يجهدوا أنفسهم فى تحديد المجتمع الشعبى الذى ينبغى أن يكون موضوعا لهذه الدراسات، كما فعل الباحثون الآخرون من أمثال «هوفمان كراير» و«هانز ناومن»، لأن الناس جميعاً من وجهة نظرهم ووفقاً لنظريتهم، يصبحون موضوعا للدراسات الشعبية. ومن ثم فإنه ينبغى من وجهة نظرهم، أن نبحث عن الشعبية فى الشعب بدلا من أن نبحث عن الشعب نفسه.

ومن أبرز المدارس التى ظهرت فى مجال الدراسات النفسية الشعبية مدرسة «يونج». ومازال أصحاب هذه المدرسة يقدمون للدراسات الشعبية أبحاثا قيمة فى هذا المجال حتى اليوم. ويتمثل تأثير هذه المدرسة القوى فى الدراسات الشعبية فى البحث عن العناصر المكونة للاشعور الجمعى، وهى تلك العناصر التى لخصها يونج فى مصطلح (النمط الأصلى).

على أن هذا المنهج لم يستطع أن يستقل بنفسه أو يكتفى بذاته شأنه شأن المناهج الأخرى. بل تحتم على أصحابه أن يفسحوا الطريق لدراسات أخرى تعينهم على تحقيق مأربهم، مثل الدراسات الاجتماعية والاثنولوجية والتاريخية والانثروبولوجية. كما أن أصحاب المناهج الأخرى كانوا يستعينون به لتوضيح بعض نقاط أبحاثهم وتعمقها، كما فعل أصحاب المنهج الجغرافى عندما استعانوا بالباحث (سبامر) فى كتابة تعليقات على أسئلة الأطلس الفولكلورى عام ١٩٣٥.

## رابعاً: المنهج الاجتماعى:

إذا كان المنهج النفسى يهتم بالكشف عن التجارب النفسية الجمعية وعن مغزاها وعلاقتها بالأصول الأولى للحضارات، فإن المنهج الاجتماعى يتركز حول البنية التركيبية للمجتمع الشعبى وعلاقتها الوثيقة بالتراث الشعبى، وبحملة هذا التراث. وقد ميز Tönnies عام ١٩١٢ بين اصطلاحى (الجماعة) و(الجمعية). فالجماعة بنية اجتماعية عضوية تنمو نمواً طبيعياً ولايجمعها غرض سياسى أو نفعى محدد، بل يربط بين أفرادها فى شكل رباط وثيق، اللغة والتقاليد والعادات ووحدة القيم الاجتماعية التى يتبنونها. وتستمد الجماعة قوتها من التراث الذى تستقبله عن غير وعى وتحرص على المحافظة عليه. وحيث إن هذا التراث يتصف بالدوام والاستمرار، فإن هذا يعنى ضرورة الاهتمام بالجانب التاريخى الذى يسهم فى توضيح الظروف الاجتماعية التى تعيش فيها الجماعة الشعبية.

وتأخذ الجماعة الشعبية فى النمو من أسفل إلى أعلى فهى تبدأ من الأسرة والبيت فالجيران حتى تشمل المجتمع كله الذى يعيش فى بيئة طبيعية بعينها وفى ظل ظروف حضارية خاصة. ومن ثم فإن أصحاب هذا المنهج لا يبدأون بالنظريات، بل بالعمل الميدانى، حيث يبدأ الباحث فى دراسة الملامح الأساسية للبنية التركيبية للمجتمع. وقد ركز هؤلاء دراستهم فى الحقيقة حول القرية ومجتمع الفلاحين، حيث إن هؤلاء الفلاحين يمثلون مفهوم الجماعة وفقا لما اصطلح عليه أصحاب هذا المنهج.

ولما كان أصحاب هذا المنهج ينتمون إلى الدارسين الفولكلوريون لا الدارسين الاجتماعيين، فقد وضعوا نصب أعينهم مهمة البحث عن حاملى التراث الشعبى الشفاهى، وعن التراث الشعبى نفسه، وذلك فى ضوء الظواهر الاجتماعية التى يرصدونها، فحملة التراث يعبرون، كما أدركوا ذلك بحق، عن وجود الجماعة الخفى والظاهرى. أما التعبير الظاهرى فيتمثل فى رواية التراث الذى يربط ماضى الجماعة بحاضرها ومستقبلها. وأما التعبير الخفى فيتمثل فى تأكيد هؤلاء الرواة لوجود الجماعة لأنها هى التى تعبر من خلالهم عن كيانها الاجتماعى المتماسك.

ولم يقف أصحاب هذا المنهج عند هذا الحد من البحث، بل حاولوا الاستفادة، فضلا عن ذلك، من أصحاب المنهج الوظيفى الذى شاع فى فنلندا آنذاك وكان يتساءل عن وظيفة أى شكل من أشكال التراث الشعبى فى حياة الناس. فاستخدموا لذلك منهج المراقبة. أى مراقبة عملية رواية التراث فى ظل الظروف الاجتماعية التى يدرسونها. ومن الأبحاث التى تمت فى هذا المجال، البحث الذى نشره «برنجماير» عام ١٩٣١ تحت عنوان «الجماعة والأغنية الشعبية»، وكذلك بحث «برنكمان» حول «الحكاية ومجتمع القرية»، وغير ذلك من الأبحاث التى نشرت حول الأزياء الشعبية والأمثلة الشعبية.

هذه هى أهم المناهج التى تسيطر على الدراسات الشعبية فى ألمانيا، وماتزال تسيطر عليها. والشئ الجدير بالذكر، أنه على الرغم من استخدام الباحثين لهذه المناهج منفصلة، فانهم قد ادركوا أنه أصبح من الضرورى الاستعانة بها جميعاً، إذا شاء الدارس أن يحقق نتائج علمية مهمة فى دراسة أحوال الشعوب المعاصرة. فالبحث وفق المنهج الجغرافى على سبيل المثال، محتاج إلى جانب توزيعه الظاهرة الفولكلورية جغرافيا، إلى أن يدرس هذه الظاهرة. كما أنه فى أشد الحاجة لتمثل الخلفية الاجتماعية لحياة الشعب الذى تعيش بينه تلك الظاهرة. وهكذا يبدو مدى التحام هذه المناهج وإن بدت أنها مستقلة عن بعضها البعض.

ولا نود أن تختم هذا الفصل عن الدراسات الشعبية فى ألمانيا قبل أن نشير إلى أحدث مدارس هذه الدراسات التى يضطلع بها الأستاذ الدكتور «باوسنجر» رئيس قسم الدراسات الشعبية فى جامعة «توبنجن» بألمانيا الغربية.

وتقوم هذه المدرسة على دراسة حياة الشعب المعاصرة الواقعة تحت تأثير المدنية الحديثة وعصر التكنولوجيا. أى أنها لا تريد أن تقيد نفسها بالدراسات التقليدية التى ترمى إلى دراسة الجماعة الشعبية المرتبطة بالطبيعة والأرض، وبتراثها الشعبى الذى وصل إليها أبا عن جد، ولم تنغمس بعد فى حياة المدنية الصاخبة وتتأثر كل التأثر بعصر التكنولوجيا.

وقد لخصت هذه المدرسة حججها فى تدعيم هذا الاتجاه فيما يلى:

أولا: ليس هناك علم من العلوم يهتم بوجوه النشاط المختلفة التى يعيشها المجتمع بأسره وباهتماماته الروحية المعاصرة وبالتغييرات الجوهرية التى اعترت المجتمع نتيجة الزحف المدنى من ناحية، ونتيجة الرقى العلمى والتكنولوجى الذى هز المجتمعات من جذورها من ناحية أخرى. وإذا كان علم الدراسات الشعبية مكلفا بدراسة الشعب أولا وأخيرا، فعليه عبء القيام بهذه المهمة إلى جانب دراسته التقليدية.

ثانيا: إذا كان العلماء الفولكلوريون قد اصطلحوا على دراسة الشعب فى الزمان والمكان، وإذا كان الزمان والمكان متطورين، فلا ينبغى إذن أن نقصر دراستنا - على سبيل المثال - على الأشكال القصصية القديمة أو القديمة المتطورة مثل الحكاية الخرافية والحكاية الشعبية، بل ينبغى علينا أن نبحث عن الأشكال القصصية الجديدة التى يحب الشعب اليوم أن يرويها ويستمع إليها. ويدخل فى هذا ما يحب الشعب الاستماع إليه من الاذاعة المرئية وغير المرئية. كما ينبغى علينا ألا نقصر دراستنا على القرى التى ماتزال تعيش فى حيز مكانى محدود، ومايزال أفرادها متمسكين بالتقاليد والمعتقدات القديمة، بل ينبغى البحث عن مواطن الاستيطان الجديدة. وعلى هذا النحو لا ينبغى علينا أن نبحث عن العادات والتقاليد فى ثوبها القديم، بل نبحث عن شكلها الحديث الذى خلعه الشعب عليها لكى تأخذ شكلا حضاريا جذابا.

ومن ثم فقد أدخلت هذه المدرسة، أو بالأحرى قسم الدراسات الشعبية فى توينجن، الذى يعد بحق رائد هذه المدرسة، ضمن موارد الدراسة فيه، موضوعات لم تدرس من قبل. ومثال ذلك «الكرنفالات»، والجمعيات والنوادى وجمعيات الشباب وأنواع الرياضات والتسلية والأسفار والأحوال السياحية والأفلام والاذاعة المرئية وطريقة الحديث اليومية، هذا إلى جانب بعض موضوعات الدراسات الشعبية التقليدية.

وأكثر من هذا فقد حرص هذا القسم على أن ينظم أرشيفا من الأخبار ذات الطابع الفولكلورى التى تحرص الصحف اليومية على نشرها بين الناس لعلمها أنها تروقهم. وتعتمد هذه الأخبار على المبالغة والنزعة الأسطورية، ولكنها من وجهة نظر الناس ليست غريبة عن تلك النتائج التى يفاجئهم بها العلم والتكنولوجيا يوما بعد يوم.

الفصل الرابع

# الدراسات الشعبية الأمريكية

نود فى هذا الفصل أن نعرض صورة للدراسات الشعبية فى أمريكا معتمدين على ماكتبه الباحث الفولكلورى السوفيتى ل. زيملجانوفا، فى مجلة «الاثنوجرافيا السوفيتية» سنة ١٩٦٢. وقد نشر بحثه مترجماً إلى اللغة الإنجليزية فى مجلة «معهد الدراسات الشعبية» التى تصدر بأمريكا، رقم ٢٨.

ترجع أهمية هذا البحث، فضلا عن العرض التاريخى، إلى نقد مدارس الدراسات القديمة ومناهجها فى الولايات المتحدة، وعرض ما يسمى بالاتجاه التقدمى فى دراسة التراث الشعبى وجمعه فى الولايات المتحدة. وقد يبدو للقارئ لأول وهلة أن الباحث السوفيتى متحامل على اتجاهات بحث التراث الشعبى وجمعه فى الولايات المتحدة، ولكن من يقرأ المقال حتى نهايته يتبين الموضوعية فى البحث. ودليل هذا أن الباحث وقف إلى جانب الاتجاه الجديد فى الدراسات الشعبية فى الولايات المتحدة، وأبرز ما يحتوى عليه من مزايا، فى مقابل المتناقضات التى تتكشف له فى المناهج القديمة أو الرجعية على حد تعبيره. وعلى كل فالأمر متروك للقارئ لكى يبدى رأيه فيما يقدمه الكاتب السوفيتى من آراء جيدة جديرة بالتأمل قبل أن يصدر الحكم السريع عليها.

فى غضون سنوات الحرب الباردة فى الولايات المتحدة الأمريكية نشطت القوى الرجعية الماكارثية فى محاولة استخدام الفولكلور الأمريكى الذى كان يقوم بتحرير مجلة الفولكلور سلاحاً طيعاً لأغراضها. فقد كتب دورسون الباحث الفولكلورى الأمريكى الذى كان يقوم بتحرير مجلة الفولكلور الأمريكية يقول:

«إن أمريكا البلد الغنى، لابد أن يمتلك ثروة من فولكلوره الخاص به. ففى هذا العصر الذى تسيطر فيه أمريكا على العالم، يتحتم على الأمريكيين بكل فخر أن يكتشفوا تراثهم الفولكلورى...لماذا يكلف الشباب الأمريكى بأن يقرأ على الدوام عن آلهة بلاد الشمال؟ وأن يقرأ أساطير الأغريق والرومان؟ حقاً إنه ينبغى على كل أمة متقدمة أن تقدم لأطفالها فولكلورها الذى يحكى عن أساطيرها وأبطالها. ويسعدنى أن الباحثين الأمريكيين قد أخذوا على عاتقهم تحقيق هذا المطلب (دورسون: الفولكلور الأمريكى. شيكاجو ١٩٥٩ ص ٤١٣). وهنا نلاحظ أن دورسون ينجرف مع التيار البراجماتى ويحاول أن يتخذ من الفولكلور سلاحاً لتأكيد زعامة بلاده سياسياً واقتصادياً.

ومن ناحية أخرى، تزايدت الرغبة فى دراسة الفولكلور فى أمريكا تزايداً كبيراً خلال العشر سنوات الأخيرة، بدافع صراع الطبقات العريضة فى المجتمع من أجل توطيد السلام والديمقراطية. فقد اتجه الكتاب التقدمون بصفة عامة إلى منابع تراث الحضارة الأمريكية الوطنى بصفة عامة، وإلى الفولكلور بصفة خاصة. فانتشرت فى البلاد جماعة تغنى الأغانى الشعبية، كما ظهر كثير من الموهوبين نوى القدرة على إبداع الأغانى الشعبية وأدائها. ومع تزايد الرغبة فى إحياء التراث الوطنى، برزت القوى التقدمية فى دراسة التراث الشعبى. ومن هنا نشأ الصراع بين الفولكلوريين التقدميين والفولكلوريين البرجوازيين الرجعيين، الذين انضموا شيئاً فشيئاً إلى زمرة الفلاسفة وعلماء الاجتماع ودارسى الأدب الرجعيين. وقد اتضح اتجاه هؤلاء الأخيرين بصفة خاصة فى أعمال الفولكلوريين الذين اقتفوا فى دراستهم أثر المنهج الفرويدى.

ولا يعد اتباع المنهج الفرويدى ظاهرة جديدة فى أعمال الدارسين البرجوازيين فى الولايات المتحدة، فقد انتشرت نظريات علم النفس التحليلى من قبل فيما بين عامى ١٩٢٠، ١٩٣٠ فى الدراسات الفلسفية والاجتماعية والجمالية والفنية فى أمريكا. وفى عام ١٩٥٠ عادت هذه النظرية إلى الظهور بشكل أقوى، وأصبحت وسيلة فلسفية تستخدم لتفسير المتناقضات الاجتماعية التى تعيش مع الواقع الرأسمالى، من خلال خصائص الفرد البيولوجية. وتؤكد مدرسة فرويد فيما هو معروف، أن النشاط الجنسى «الليبيدو» يقوم بالدور الحاسم فى الحياة الإنسانية. ومن ثم فإن كل ظواهر الوعى الاجتماعى بما فى ذلك الفن، تعزوها مدرسة فرويد إلى تسامى الليبيدو. وعندما طبق الفولكلوريون هذا المنهج فى دراساتهم، قادهم هذا إلى نتائج غاية فى السخف والغرابة. فسواء كانت المادة الشعبية حكاية شعبية روسية أو أسطورة أفريقية أو لغزاً هندياً قديماً، فإن هؤلاء الباحثين حاولوا أن يتلمسوا فيها آثاراً لتسامى الليبيدو. وفى كثير من الأحيان تبدو النظرية الفرويدية فى أعمال الفولكلوريين الأمريكيين مختلطة بالنظرية اليونجية على الرغم من اختلاف النظريتين فى أساسهما؛ إذ بينما تصور فرويد أن اللاشعور يعيش حالة كبت نتيجة وجود المحرمات الاجتماعية التى لا تسمح بالدوافع الجنسية لأن تعمل فى حرية، رأي يونج فى اللاشعور منبثقاً للنشاط الخلاق عند الفرد، ومن ثم فقد فضل أن يتحدث عن تخلف اللاشعور، بدلا من الحديث

عن كبته. وقد مهدت نظرية يونج الطريق لكثير من علماء علم النفس التحليلى فى العصر الحديث لأن يؤكدوا وجود نوع من اللاشعور الجمعى الذى تعبر الجماعة عنه برموز وأساطير تنبع من الأنماط الأصلية المستقرة فى اللاشعور. وكما تعيش هذه لأنماط الأصلية فى اللاشعور الجمعى، تعيش كذلك فى لاشعور الفرد، وتعد أساساً لخلقه الفنى، بل سلوكه العام فى الحياة.

وإذا كان هناك من الباحثين الأمريكيين فى مجال الدراسات الفولكلورية من فضل منهج يونج على منهج فرويد، معللين هذا التفضيل بأن أصحاب منهج فرويد باتجاههم البيولوجى يدفعون الضريبة للمادية، فى حين ربط أصحاب مدرسة يونج الفن بالواقع الموضوعى ربطاً تاماً، فضلاً عن نظرتهم إلى اللاشعور نظرة صحيحة سليمة، لا نظرة مرضية كما فعل فرويد- فإن من الباحثين الفولكلوريين الامريكيين من مزج بين منهج فرويد ومنهج يونج. ويعد كتاب «جوزيف تشامبل» «البطل ذو الألف وجه» نموذجاً لتطبيق المذهب اليونجى الفرويدى فى دراسة الفولكلور. فعالم الأساطير والحكايات الشعبية يبدو لتشامبل إسقاطاً هائلاً مهوشاً للاشعور الجمعى الذى تختلط فيه الأحلام بالهلوسة بالمشكلات الجنسية. ومن ثم فإنه يمكننا بناء على وجهة نظر تشامبل أن نختزل فولكلور العالم المتنوع إلى مجموعة من الأساطير الشعبية والأساطير الفردية. فكل أسطورة تعد تشخيصاً للحلم، كما أن الحلم يعد أسطورة شخصية. وأكثر الأنماط النموذجية انتشاراً فى الأدب الشعبى هى التى تجسد البطل وهو يخرج من بيته، ويقوم بالمغامرات العجيبة فى البلاد الغريبة حيث يقابل العقبات الشاقة التى يجتازها ويعود بعدها مرة أخرى إلى بيته وأهله.

ومن بين الدارسين الفولكلوريين فى أمريكا، الذين اهتموا فى ابحاثهم بتطبيق المنهج النفسى فى دراسة الأدب «دورثى أجان». ومن أهم أبحاثه فى هذا المجال بحث تحت عنوان «الاستخدام الشخصى للأسطورة فى الأحلام»، وبحث آخر تحت عنوان «العلاقة بين الفرد وتراثه الشعبى». ويؤكد «أجان» فى البحث الأول العلاقة الوثيقة بين الأحلام والأساطير؛ فالأسطورة تعيش على الدوام فى اللاشعور الجمعى، فإذا طفرت على السطح فى شكل الأحلام، فإنها تتعرض لتغيرات محددة وفقاً لخصائص الشخص وغرائزه، وبصفة خاصة الغريزة الجنسية. كما أن الفرد يختبر فى الحلم كنه غرائزه اللاشعورية المكبوتة. فإذا كان خيال النائم عاجزاً عن تشكيل الحلم، فإن الأسطورة التى تعيش دفينة فى لاشعوره، تصعد

إلى السطح لتكون فى عونه، أما بحث «أجان» الثانى فيشرح فيه علاقة الفرد بتراثه الأدبى الشعبى، حيث إن هذه العلاقة تكون مشكلة من أهم مشكلات الفولكلور الممتعة التى لم تحظ بنصيب وافر من الدراسة.

وقد كان نتيجة اهتمام الفولكلوريين الأمريكيين بتطبيق منهجى فرويد ويونج النفسيين، أن عزل الفولكلور الأمريكى عن واقعه الطبيعى الذى ينمو وينتشر فيه. هذا فضلا عن أنهم لم ينظروا إلى الأعمال الأدبية بوصفها أعمالا فنية، بل بوصفها نماذج يستعان بها فى شرح الظواهر المرضية فى علم النفس. وكان نتيجة هذا أن أهمل بحث العلاقة بين الخلق الشعبى الجماعى والموهبة الفردية إهمالا كليا. ولا تدرس هذه المشكلة إلا فى ضوء دراسة أحوال الجماعة تاريخيا، ودراسة الأعمال الفولكلورية التى تعيش معها. وبتعبير آخر، إن توضيح هذه المشكلة لا يتحقق إلا عن طريق دراسة الموهبة الفردية الشعبية وعلاقتها بالبيئة التاريخية والجغرافية والاجتماعية التى تعيش فيها.

ويعد كثير من الفولكلوريين الأمريكيين أنفسهم اتباعا للمدرسة الأنثرويولوجية التى أسسها فريزر ولانج تايلور، هؤلاء الذين خصصوا أعمالهم المستفيضة لدراسة المثولوجيا والطقوس البدائية. ولسنا نبالغ إذا قلنا إن العدد الأكبر من الكتب ومن المقالات التى تنشر فى مجلة «الفولكلور الأمريكى» يدور حول وصف الطقوس والميثولوجيا والخرافات عند قبائل أفريقيا وهنود أمريكا، وفى البقاع الريفية فى الولايات المتحدة وأوربا. على إننا إذا وازنا بين ممثلى المنهج الأنثروبولوجى المعاصرين، وبين مؤسسى هذا العلم، فإننا نجد الفرق بينهما واضحاً. فأهم ما يميز أبحاث فريزر وتايلور هو محاولة تفهم المادة الميثولوجية تفهماً موضوعياً فى إطارها التاريخى المحدود. وقد نجحا فى بعض الأحيان فى الكشف عن الجذور الاجتماعية الحقيقية لبعض الظواهر الفولكلورية، وإن أخفقا فى تقديم تفسير علمى لمادة تاريخ الحضارة العالمية، الغنية كل الغنى، ولمادة الفولكلور والميثولوجيا التى جمعاها. أما ممثلو المدرسة الانثروبولوجية المحدثون فينزعون إلى الأفكار المثالية الذاتية، وكثير منهم وقع تحت تأثير نظريات يونج. وقد فصل هؤلاء الفولكلور عن العوامل التاريخية التى تسببت فى نشأته، وعالجوه على أساس أنه منبع للخرافات الحية والطقوس السحرية، رابطين بينه وبين الرغبات الجنسية أو المعتقدات الدينية. وهنا نلاحظ مرة أخرى تأثير مدرسة علم النفس التحليلى فى

الدراسات الفولكلورية، فالمنهج الأنثرولوجي من وجهة نظر الأنثروبولوجيين المحدثين يعين على فهم أجناس الفولكلور والأساطير، ولكنه لا يستغنى عن علم النفس التحليلى للكشف عن محتواها.

ويتمتع منهج المدرسة الفنلندية أو كما سمى المنهج الجغرافى التاريخى بمكانة بارزة بين المناهج التى اتبعها الفولكلوريون البرجوازيون فى الولايات المتحدة فى دراساتهم. ويتزعم هذا المنهج فى أمريكا «سيث طومسون» صاحب كتاب «فهرست الحكايات الشعبية» الذى يقع فى عدة أجزاء. وقد نشر طومسون أخيراً بالاشتراك مع «يوناس باليس» كتاباً تحت عنوان «الحكايات المروية فى الهند». وهو تصنيف لموتيفات الحكايات الشعبية فى الهند. ولم ينظر طومسون إلى الفولكلور على أنه بقايا طقوس قديمة كما فعل أصحاب المدرسة الأنثروبولوجية، ولكنه يتفق معهم فى أنه سلب الفولكلور خصائصه بوصفه فنا. فعالم الفولكلور وفقا لآراء طومسون ليس سوى مجموعة مختلطة من الموتيفات المجردة التى انتقلت من بلد لآخر. ومن ثم من واجب الفولكلوريين، وفقاً لرأيه، تنظيم هذه الموتيفات فى شكل فهارس وخرائط تصور هجرتها واختلاطها ومدى ما تعكسه من تبادل ثقافى بين الشعوب المختلفة. ومعنى هذا أن أصحاب المنهج الجغرافى التاريخى يتفقون مع أصحاب المنهج الفرويدى اليونجى فى أن كليهما يبحث عن النماذج الأصيلة فى الأدب الشعبى. وبينما يبحث عنها أصحاب المنهج النفسى فى عالم اللاشعور، يقتفى أصحاب المنهج الجغرافى التاريخى أثرها فى مساحة شاسعة من كوكبنا الأرضى.

ولما تطورت مناهج دراسة التراث الشعبى فى أوربا، نبذ الفولكلوريون الأمريكيون المعاصرون المنهج التاريخى الجغرافى ومنهج التحليل النفسى، ونادوا بدراسات حية ترتكز على أصل الفولكلور وتطوره. ولكن هؤلاء بكل أسف وقعوا تحت تأثير المذهب البراجماتى الذى يعارض الجدل الماركسى فى أساسه. فإذا كان الجدل الماركسى يبدأ من معرفة التداخل بين الحقيقة النسبية والحقيقة الكلية من ناحية، والموضوعية من ناحية أخرى، فإن البراجماتية حطمت هذا التدخل، ونادت بأن الموضوعية لا أساس لها. وبالتالى فقد أنكر الفولكلوريون البراجماتيون القوانين الموضوعية فى التطور التاريخى للفولكلور، واقتصروا على ربط

الفولكلور بحوادث تاريخية بذاتها وبأسماء وتواريخ معينة. ويمثل «ريتشارد دورسون» هذه البراجماتية التاريخية أصدق تمثيل.

ففى عام ١٩٥٩ نشر «دورسون» فى مجلة «الفولكلور الأمريكى» مقالا طويلا تحت عنوان «رأى فى دراسة الفولكلور الأمريكى». وقد قدم «دورسون» فى بداية المقال عرضاً موجزاً لمختلف المذاهب والنظريات التى اتبعها الدارسون الفولكلوريون فى دراسة التراث الشعبى الأمريكى. ثم عبر بعد ذلك عن رأيه وهو أن المذاهب المتبعة (الأنثروبولوجى والنفسى والجغرافى التاريخى) قد أهملت أهمية دراسة تاريخ الفولكلور الوطنى الأمريكى. ولهذا فقد دعا زملاءه إلى تضافر الجهود نحو البحث التاريخى فى دراسة أجناس الفولكلور وتطوره. وعندما حاول «دورسون» فى الجزء الثانى من المقال أن يقدم أسسه المقترحة، وأن يقوم بتطبيقها تطبيقاً عملياً، تبين أنه ابتعد عن المنهج التاريخى الموضوعى كل البعد حينما أغفل الدور القيادى للمجتمع وحضارته. فهو لم يربط الفولكلور بتاريخ الجماعة ولا بتاريخ حركتها التحررية وصراع الطبقات بوصفها عوامل ممثلة للقوى الرئيسية الفردية الدافعة إلى التطور التاريخى، بل اكتفى دورسون بربط الفولكلور بالحوادث التاريخية الفردية وبالأسماء، فطمس بذلك القوانين التاريخية الموضوعية الأصيلة التى تعمل على تطور الفولكلور. فلما دخل دورسون فى صميم البحث الفولكلورى، تحدث عن توغل موتيفات التراث الشعبى الأوربى فى فولكلور الولايات المتحدة. وهذا معناه أنه مازال يدور فى فلك المنهج الجغرافى التاريخى، كما أن معناه نفى الطابع الطبقى فى الفولكلور الأمريكى؛ فحينما تحدث على سبيل المثال عن فولكلور الزنوج أرجعه فى أساسة إلى تسرب الفولكلور الأوربى اليهم، كما أخذ يبرهن على أن الزنوج ليس لهم تراثهم الفولكلورى الخاص بهم. ولكى يرضى دورسون الأيديولوجية الوطنية، حث الدارسين على ألا يغفلوا الدافع الوطنى والديمقراطى فى دراستهم. وطبيعى أنه لا يعنى هنا وطنية الطبقات الشعبية بل يعنى تراث الديمقراطية البرجوازية الذى يدور حول الأبطال الرسميين مثل هنرى فورد.

ولقد أسهب دورسون فى الحديث عن هذا المنهج التاريخى فى عدة أعمال له، من أهمها كتاب عن «التراث الشعبى الأمريكى». وعبثا نحاول أن نجد فى هذا الكتاب دراسة عن تاريخ تطور الفولكلور الأمريكى فى ارتباطه العضوى بتاريخ الشعب الأمريكى. وعبثاً نجد كشفاً عن

آمال الطبقات العاملة وطموحها. بل اكتفى دورسون بانتقاء نماذج من فولكلور هذه الطبقة انتقاء ذاتياً صرفاً. حتى فولكلور الزنوج لم يدرسه دورسون دراسة تاريخية فولكلورية صادقة تصور صراع الزنوج ضد العبودية وصراعهم ضد التمييز العنصرى، واكتفى بأن قال إن الزنوج بعد محو أميتهم قد بدءوا يعبرون فى فولكلورهم عن شخصية جديدة متحررة.

وفى كتاب دورسون فصل آخر يتحدث فيه عن تماثل الأدب الشعبى الأمريكى. ثم أخذ يبرز وجوه هذا التماثل من خلال عرض نكات رجال الأعمال التى تكشف عن قيمهم وعرض حكايات الطلبة البذيئة، وحكايتهم التى تسخر من جوهم العلمى، وأغنيات الحب عندهم، وألعاب المخمورين وحكايات الجنود عن الجنس. ولكن أين الفولكلور الذى يكشف عن مزاج الجماعات العاملة ويرتبط بالصراع الاجتماعى السياسى فى الولايات المتحدة؟ لا شئ من هذا القبيل فى كتابه، لأن الفولكلور الأمريكى المعاصر متماثل من وجهة نظره. وهو يحقق وظيفة تسلية المواطنين الذين يعيشون فى حالة من الاكتفاء والدعة.

على أن هذا لم يحل دون تزايد أعداد الفولكلوريين التقدميين، وإلى هؤلاء تنتمى جماعة الدارسين الذين يعدون الفولكلور فناً حياً متطوراً للجماعات العاملة العريضة. وإليهم تنتمى جماعة من الفولكلوريين المتحمسين الذين جمعوا نخبة من المغنين الشعبيين الذين يقومون بإحياء الحفلات الشعبية وتقديم الأغانى الشعبية فى الجامعات والمقاهى، بل وعندما تقوم المظاهرات الشعبية ولهذا الغرض صدرت مجلة «Sing Out» التى أصبحت مركزاً منتظماً ومثالياً لتوجيه نشاط الفولكلوريين المتقدمين عمن سبقهم من الرجعيين. ومن هؤلاء أروين زيلبر، وأسل آمين، وجوجرينواى، وبيترسيجير وآلان داندس وغيرهم من طلائع الفولكلوريين الأمريكيين.

ويؤكد هؤلاء الدارسون التقدميون أن طبيعة الطبقة الشعبية هى التى تضفى على الفولكلور طابعه الجماعى، وهى التى تكسبه خصائصه الفنية، وهذا هو سبب انتشار التراث الشعبى عن طريق الكلمة المروية، وذلك لما تحتوى عليه من أفكار قريبة كل القرب من نفوس الجماعات الشعبية، وكثيراً ما يدافع «أروين زيلبر» عن هذه الأفكار التقدمية فى مجلة «Sing Out» التى يقوم بنفسه على تحريرها. فالأغنية الشعبية تعد أكبر تعبير ديمقراطى وتقدمى فى

عصرها، وكذلك تتميز الأشكال الفولكلورية المعاصرة بواقعيتها وبتأكيدها للاتجاه الشعبى الديمقراطى.

ولأول مرة يقدم الفولكلوريون التقدميون فى أمريكا تفسيراً لتطور أشكال الإبداع الشعبى وتغيرها. ولهذا يجدر بالدارسين الفولكلوريين أن يطلعوا على كتاب «أروين زيلبر» الذى يضم عشرة آلاف ومائة وعشرين أغنية تتسم بشعبيتها وغناها الفنى. وقد دون زيلبر اللحن إلى جانب النص، كما أنه علق تعليقاً منفصلا على هذه الأغنيات؛ فلم يذكر زمان نشأة الأغنية ومكانها ومدونها فحسب، بل اجتهد فضلا عن ذلك فى البحث عن أصل الأغنية والزمن الذى كانت تؤدى فيه وظيفة أساسية فى حياة الناس، وبذلك استطاع زيلبر عن طريق التحليل التاريخى لهذه الأغنيات أن يقدم صورة حية لفترة معقدة متناقضة فى تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية. فقد صور دور الفولكلور فى الصراع السياسى، وكشف عما فى هذه الأغنيات من مغزى بوصفها فناً انطبعت فيه أفكار طبقة عريضة من الشعب ومشاعرها ومعتقداتها وآمالها. كما استطاع زيلبر عن طريق دراسة الأغانى التى نشأت فى طبقات اجتماعية مختلفة أن يكشف عن التباين الطبقى كما يتضح من فولكلور الحرب الأهلية. فعلى الرغم من أن كثيراً من الأغانى يعكس الأفكار الأيديولوجية التقدمية، فإن هناك من الأغانى ما يعبر عن اليديولوجية المحافظة لأهل الجنوب. ويشير زيلبر إلى أن هذه الأغانى زيفت واستخدمت وسيلة للدعاية ضد النضال الديمقراطى.

وينظر الفولكلوريون الأمريكيون التقدميون إلى الفولكلور المعاصر من خلال عملية تطوره، فالنص الأدبى الشعبى الذى يروى شفاها يصقل عن طريق عملية الانتقال، ويكتسب محتوى جديداً ينبع من الظروف التاريخية التى يعيشها شعب ما. وعندئذ ينشأ إبداعاً جديداً من التراث الشعبى القديم. وهذا جلى وواضح فى محتوى مجلة Sing Out. إذ يخصص فيها فصل لدراسة عملية تطوير الفولكلور، ولنشر الأغانى الشعبية. وهذه الأغانى إما تعد رواية متطورة لأغانى قديمة، أو تعد مزجاً بين نص جديد مع لحن أغنية شعبية قديمة. وأغلب هذه الأغانى يرد على تساؤلات شعبية تتعلق بمشكلات البلد السياسية والاجتماعية.

ويعارض الفولكلوريون التقدميون فى جرأة الفولكلوريين الرجعيين فى مشكلة الجهل بمؤلف التراث الشعبى. فالفولكلور من وجهة نظرهم لا ينبغى أن يتقيد بالتعريف القديم الذى

خضع لمعيارين هما الرواية الشفاهية والجهل بالمؤلف. هذان المعياران اللذان كانا يميزان فولكلور العصر الغائب والذى اختفى كثير منه فى ظل ظروف القرن العشرين.

وبهذا الصدد يقول «زيملجانوفا» إذا كان لى أن أبدى رأياً فى هذه القضية فإنى أضم رأيى إلى رأى هؤلاء التقدميين فى ضرورة البحث عن تعريف جديد للفولكلور لا يخضع بالضرورة للمعايير التى اصطلح عليها الفولكلوريون من زمن. إذ ينبغى علينا ان نعترف بالنصوص الفولكلورية المكتوبة التى يعرف مؤلفوها نتيجة ذلك». أما المعيار الذى يتحتم على الفولكلور الحديث أن يشارك فيه الفولكلور القديم فهو الطابع الجماعى. ولهذا فقد أخذت مجلة Sing Out على عاتقها أن تنشر الفولكلور القديم والحديث معاً وفقاً للمفهوم الذى اصطلح عليه هؤلاء الفولكلوريون. فقد نشر فيها على سبيل المثال مقالا لعامل من أعمال منجم كينتوكى، اشتهر بأنه مؤلف للأغنيات الشعبية ومؤد لها. كما نشر زيلبر مقالا عن «جوى جارامان» الذى يقوم بتأليف الأغنيات الشعبية ذات الطابع الجمعى وقال عنه: «إن هذا المؤلف يعد حقاً ظاهرة بارزة فى عالمنا المليئ بالشكوك. ففى قلبه شئ دفين يتجاوب مع الأحداث التى يعيشها الناس، ويحذر زيلبر من الخلط بين هؤلاء المغنيين الشعبيين وبين الشباب البوهيمى الذى يدعى أنه من الفولكلوريين هواة الأغانى الشعبية، وهو فى الواقع بعيد كل البعد عن مشاعر الناس. إن الربط الوثيق بين هؤلاء المغنيين الشعبيين الحقيقيين والقوى التقدمية التى تسهم بنصيب فى الصراع الإجتماعى السياسى فى الولايات المتحدة، وإن الاهتمام بالخلق الشعبى المرتبط بحركات الشعوب التحررية فى العالم هما العاملان الأساسيان اللذان يميزان الفولكلوريين التقدميين عن الفولكلوريين الرجعيين كل التمييز. وقد فتحت مجلة Sing Out ذراعيها لاستقبال مادة التراث الشعبى من جميع أنحاء البلاد. تلك المادة التى تعكس نضال العاملين ضد الظلم الاجتماعى والرجعية السياسية. وهى تهتم بصفة خاصة بفولكلور الطبقة العاملة الامريكية الذى أهمله الدارسون البرجوازيون أو عرضوه عرضاً مشوهاً فى أعمالهم.

ونود أن ننوه فى هذا الصدد بكتاب «جون جرينواى»: «الأغنيات الشعبية الأمريكية الثائرة» الذى عرض فيه أغنيات عمال النسيج وعمال المناجم والأغنيات التى تنشأ مع المظاهرات، تلك الأغنيات التي تسجل لحظات حاسمة فى تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية. وقد كشف «جرينواى» فى كتابه هذا عن العلاقة بين فولكلور العمال ونضال البروليتاريا فى

أمريكا، ومن خلال هذا الكشف برز دور الأغنيات المهمة فى الحياة الاجتماعية والسياسية فى الولايات المتحدة. فإذا كان الفولكلوريون البرجوازيون الأمريكيون يعدون الأغنيات الشعبية المعاصرة فولكلوراً ينشأ عرضاً ولا يحتوى على عناصر فنية، ومن ثم فهو ليس جديراً بأن يكون جزءاً من تراث الفولكلور، فإن الفولكلوريين التقدميين يؤكدون أهمية فولكلور الطبقة العاملة بوصفه جزءاً مهماً من الخلق الشعبى المعاصر ومن تراث الأمة الحضارى، لاغنى عنه. أن الاهتمام بفولكلور الطبقات العاملة اهتماماً تاريخياً، والعمل على نشر الأغنيات الثائرة التى يهملها الدارسون البرجوازيون عن عمد، بدأ يقوى الروابط بين حامل التراث من ناحية ومؤلفى الفن الفولكلورى من ناحية أخرى، الأمر الذى دفع الفولكلوريون التقدميون لأن يعيشوا صراعاً لا مهادنة فيه مع القوى الرجعية.

وتتنوع صور هذا الصراع كما أنها تتسم بالمرونة التى كان لها أثر كبير فى فاعلية هذا النضال. وقد جذب هذا الصراع إليهم كثيراً من الهاوين أو الدارسين. وفضلاً عن هذا كله فقد قوى الربط بين الفولكلوريين والجماعات الشعبية.

إن الفولكلوريين التقدميين المعاصرين فى الولايات المتحدة يشقون طريقهم فى ظروف شاقة. فليس من السهل عليهم أن يتغلبوا على الدارسين البرجوازيين وأيديولوجيتهم، وعلى العقبات التى يضعها هؤلاء المحتكرون فى طريقهم. ومع ذلك فإن الذين يقفون إلى جانب هؤلاء الدارسين التقدميين ليسوا بقلة. وهؤلاء هم جمهور الشعب والأفراد الذين يسهمون فى تأليف الفولكلور وأدائه، وهذا هو أكبر ضمان لنجاح تطور هذه الجماعة وتأكيد وجودها.